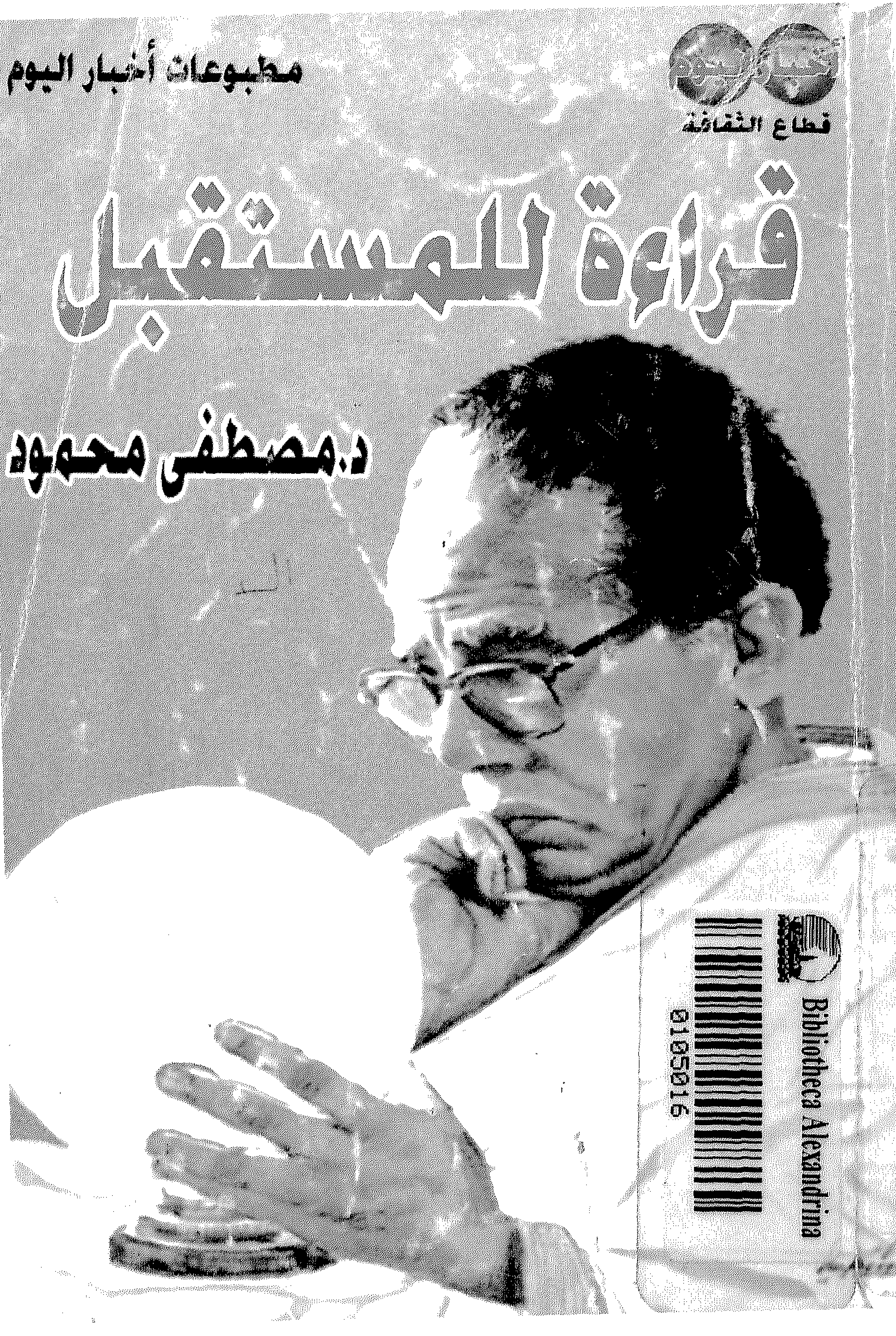

مطبوعات أخبار اليوم
قطاع الثقافة
قراءة للمستقبل
د. مصطفى محمود
Bibliotheca Alexandrina
01050016

مطبوعات أخبار اليوم
قطاع الثقافة

قراءة للمستقبل

د. مصطفى محمود

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة
القاهرة
تليفون / فاكس
٥٧٩٠٩٣٠

الغلاف بريشة الفنان / مصطفى حسين

تصميم الغلاف / أشرف حسين

مقـدمة

حينما كتبت عن سقوط اليسار منذ سنة ونصف سنة ، لم أكن أظن أن الواقع الأوروبى سوف يقدم ترجمة فورية لكتابى بلغة الحوادث .. وأن جدار برلين سيسقط بالفعل وستسقط معه الغشاوة عن عيون الملايين .. وسنرى من مقاعدنا هنا فى الشرق الأوسط مقالة مصورة عن سقوط الفكر الماركسي يكتبها التاريخ ليقرأها الملأ على يمين ويسار الحائط وعن أمامه ومن خلفه .

وصدق أجدادنا الذين قالوا .. أنك يمكن أن تكذب على بعض الناس بعض الوقت ، ولكن لن تستطيع أن تكذب على كل الناس كل الوقت .. حتى لو أقمت على حراسة هذا الكذب الدبابات والمدافع والمتاريس .

ولقد قامت الشيوعية منذ سبعين سنة على أكاذيب ماركسية تحرسها المدافع والرشاشات والعسكر ، وينشرها المثقفون ويتغنى بها الفنانون السذج ويصنعون أبراجا من ورق وأمجادا من هواء .. وكانت عنيفة دموية لا انسانية فى سحقها للخصوم وتنكيلها بالمخالفين .. ولكنها لم تستطع رغم العنف والسلاح أن تستمر .. ومالبث أن خرج منها من ينكرها .. ومالبث أن انهار جدار الكذب مرة واحدة ، واندفعت شلالات من البشر عبر الحائط تلعن الكذب والكذابين ، وتخرج الطواغيت من جحورهم الى العراء .. وتصرخ فى وجوههم

ورأينا مسوخا ترتجف .. وكانت بالأمس تحكم بالحديد والنار ..

هونيكر .. جيفكوف .. ميلوش ياكيش .. هوساك .. تشاوشيسكو ..

ورأينا أحزابا تتهاوى وأحزابا تتفكك ولا يبقى منها شيء .. وأحزابا تنكر انتماءها ، وأحزابا تخلع هويتها .

وانفجرت الفقاعة الكبيرة من الزيف بما فيها من تخليط فكرى وتلفيق فلسفى كان الناس يتدارسونه على أنه فكر ، وعلى أنه تقدم ، وعلى أنه عدالة وحرية ..

التأخر كانوا يسمونه تقدما ، والظلم عدلا ، والاستعباد حرية ، والعملاء أبطالا ، والسفاحون أنبياء ، والقتلة ثوارا .

وكان الكذب يصلنا مضخما مفخما عبر أجهزة متخصصة .. فنهلل له وكأنه حق منزل .

وأذكر أيام موت ستالين أن كتب أحدنا فى الأهرام نعيا يقول فيه :

طبت حيا وميتا يارفيق !!

ومازال صاحبنا يذكر هذه الفرية التى افتراها على الناس ويعض عليها بنان الندم .

ولم تكد تمضى سنوات حتى كان الروس أنفسهم يخرجون جثة ستالين من الكرملين ويلقون بها فى حفرة ثم يهيلون عليها وعلى سمعة صاحبها وعلى تاريخه التراب .

ثم لطخوا خروشوف من بعده .. وبريچنيف من بعد خروشوف .. ثم جاء جورباتشوف ليعرى الكل وليعترف بالحقيقة التى حاول الجميع إخفاءها .. أن الاقتصاد الشمولى كان خرابا شموليا .. وأنه لا اختيار .. إما اصلاح من الجذور ، وإما الانهيار الذى لن يبقى على شيء ..

ثم جاء قرار الحكومة البولندية والحكومة المجرية والحكومة البلغارية بشطب الماركسية اللينينية كمادة من مناهج التعليم ورفعها من المقررات المدرسية .

ثم بدأت النهاية

وكان لابد من قراءة للمستقبل بعد هذه المتغيرات ..

الخطر الجديد القادم

كنت فى يوغسلافيا فى سراييفو حينما صحوت فى الفجر على صوت ألف مئذنة تردد فى عتمة الليل .. الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمدا رسول الله .. وكانت الأصوات العذبة تسرى فى سكون المدينة وتتعانق كأنها سلاسل ذهبية تطوق الفندق .. وكانت اللغة العربية صافية ندية حتى لقد ظننت للحظة أنى فى لوكاندة بالحسين فى ليلة من ليالى رمضان ، وأسرعت الى النافذة أفتحها ورحت أتلفت حولى .. أنا فى قلب أوروبا .. ورأيت الأشباح تنسل فى العتمة من البيوت وتبسرع الخطى الى المساجد ..

كان المشهد غريبا . .

ولم أكن أتصور أن الاسلام موجود فى يوغوسلافيا بهذه

الكثافة . .

وعلمت فيما بعد أن هذه المنطقة من يوغوسلافيا منطقة اسلامية كلها . .

وفى الصباح حكى لى أحمد اسماعيلوفتش نبذات مشرقة من التاريخ . . وروى لى كيف دخل الاسلام هذه البلاد . . وكيف وصل الى بلغراد وبلغ أبواب النمسا . .

تذكرت هذا الحديث الذى جرى من سنوات فى سراييفو . . عبرت تلك الذكرى خيالى بالأمس وأنا أدير مؤشر الراديو بعد منتصف الليل فأسمع من أذربيجان تلاوة القرآن على أرواح ضحايا المذابح هناك ، وأسمع المذيع يقول : ان ما جرى فى أذربيجان هو حرب صليبية أخرى . .

وهزنى صوت القرآن عربيا واضحا على خلفية من البكاء والنواح .

وجاءنى صوت القرآن الممتزج بالدموع آتيا من أعماق آسيا . . والتحمت المشاهد فى خيالى . . الأذان فى سراييفو . . والقرآن من أذربيجان .

وأدرت المؤشر على الهند . . وكشمير . . وسمعت أخبار الصدام بين الهندوس والمسلمين هناك . . وعلى روسيا . . وسمعت أخبار الصدام مع المسلمين فى طاجيكستان . . وعلى سمرقند . . وأخبار الصدام مع المسلمين الأوزبك .

كيف وصل الاسلام الى هذه الأطراف النائية من المعمورة . . الهند . . والصين . . وجمهوريات آسيا السوفيتية . . وكيف غزا القلوب واستقر فيها . . وكيف أصبح المسلمون هناك يضحون بأنفسهم من أجله . .

لم يجرد المسلمون جيوشا الى القارة الهندية . . ولم يرسلوا

جنديا واحدا الى سهول آسيا أو مجاهل الصين واليابان .. وإنما حمل هذا الدين أفراد .. تجار قدموا على هذه البلاد .. ليبيعوا ويشتروا .. وأنس منهم أهل البلاد الأمانة والتقوى والخلق ، ورأوهم يصلون ويسجدون .. فسألوهم من أى دين أنتم .. فقالوا ديننا الاسلام .. فقالوا لهم علمونا هذا الدين ..

انها القدوة ..

انتشر الدين بالقدوة الحسنة .. والمثال الطيب .. انتشر بصفاته الذاتية وما يضفيه على أهله من سجايا كريمة ..

كل مسلم كان شهادة تفوق لهذا الدين .. وكان داعية له وعاملا على انتشاره ..

واليوم بدأ التاريخ يسير بالعكس ..

اليوم انقلبت الآية .. واندست عناصر مفتعلة تقوم بدور مضاد .

ظهر مسلمون جدد فى ايران يبلغون صوت الاسلام بالعدوان والتشنج والفتك والقتل ..

ويقتلون من .. ؟؟!! .. مسلمين مثلهم .. أو حجاجا لا يعرفونهم يطوفون بالكعبة .. أو ركاب طائرات من كل الجنسيات ربما من مواطنيهم .. أو نسوة وأطفالاً فى الأسواق تنفجر فيهم عربات ملغومة .. ويفعلون كل هذه الجرائم باسم الدين ويجعلون الإسلام عنوانا لها ..

ولا يمكن أن يكون هؤلاء الناس مسلمين .. ولا حتى آدميين ..

ثم تظهر اسرائيل من وقت لآخر كوسيط سلاح بين ايران وبين أمريكا مرة ، وبينها وبين رومانيا مرة أخرى .. وبينها وبين بلدان أوروبية تصنع الصواريخ أو الطائرات أو قطع الغيار ..

ثم نسمع الشعارات الايرانية تندد بالصهيونية وتهدد اسرائيل

بالويل والدمار . .

يتصافحون من تحت المائدة . . ويتبادلون الشتائم أمامنا . .

ما هى الحكاية بالضبط . .

ماذا يبيت لنا فى الخفاء من وراء الكواليس ؟ ! .

أمريكا تعطى اسرائيل سنويا ثلاثة مليارات من الدولارات معظمها معونات ومنح لا ترد . . وهى لا تعطيها تلك المعونات لتشترى بها جبنة رومى . . وإنما دبابات وطائرات وصواريخ ويورانيوم مخصب من جنوب افريقيا لصناعة القنابل الذرية . . ليكون كل هذا سيف ارهاب وكرباج تخويف لنا حتى لا تفتح دولة عربية فمها . . .

ثم هى سوف تعطيها ستمائة مليون دولار أخرى لتوطين مليون مهاجر يهودى من الفلاشا ومن الهاربين من جحيم جورجيا وأرمينيا وأذربيجان . . لتوطينهم فى الضفة وغزة فى بلادنا طبعا . . وذلك خلال العام القادم . . بينما هى تعطينا القروض بشروط تقصم الظهر . . ويضع لنا صندوق النقد الدولى شروطا تهدد وضعنا الاجتماعى بالانفجار . . ليجدول الديون ويسمح لنا بمهلة للتنفس . .

وعلى الشاطىء الآخر من البحر . . فى فرنسا . . تقوم قائمة الصحافة والاعلام . . وتقوم زوبعة دعائية ضد الاسلام . . لأن هناك فتاتين صغيرتين تلبسان الحجاب . .

ثم يعود فيتكرر الحادث فى لندن . .

ويظهر كتاب آيات شيطانية ليبصق فى وجوه ألف مليون مسلم ، فتهب دول أوروبا لتساند المؤلف وتدافع عن حريته فى أن يقول ما يشاء ، ولتعيد محاكمة التاريخ الاسلامى وتزييف الحقائق عن الاسلام واضطهاده للحريات . .

يقولون هذا الكلام وهم الذين سجنوا جاليليو وحرقوا برونو . .
ثم نسمع أن كتاب آيات شيطانية يدرس للطلبة فى جامعات أمريكا . . مزيدا من الكيد والاغاظة . .

ثم تحدث انفجارات . . وتقع طائرة . . وتنسف عربة ملغومة .

ويتحدث ناس مجهولون فى التليفون . . ليقولوا . . أنهم هم الذين فجروا هذه القنابل . . وأنهم جماعة الجهاد الاسلامى . . أو جماعة محمد . . أو العدالة الاسلامية . . أو المسلمون المستضعفون فى الأرض . . الخ . . الخ .

ما هى الحكاية بالضبط . . ماذا يبيت لنا فى الظلام .

ومن الذى يدفع هذه الأيدى المأجورة لتنسف وتفجر وتقتل . . وتقول . . نحن الجماعة الاسلامية كذا وكذا . .

ورجال مثل جارانج الذى يظهر فى جنوب السودان ليقود تمردا عسكريا بشعارات مسيحية ضد الشمال السودانى المسلم ، فتتدفق عليه الأسلحة والمعونات والمرتزقة وخبراء حروب العصابات من اسرائيل ومن الحبشة .

ورجل عسكرى آخر مثل عون يظهر فى لبنان ليقود حركة انفصال مسيحى . . فتتحرك من أجله البوارج الفرنسية لتقف فى عرض البحر فى إشارة تأييد مادى ومعنوى .

حتى جورباتشوف يتهم الأصولية الاسلامية فى أذربيجان باثارة الفتنة . . ويقول هذا الكلام فى تصريحات رسمية . .

هل نحن بصدد انتهاء الشيوعية والتقاء وشيك بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى ليتفرغ الاثنان لعدو جديد مشترك هو الاسلام ؟

ومن هم صناع هذه الفتنة الجديدة . . هل اسرائيل هى رأس الحربة . . ؟؟! (وصلت يد اسرائيل الطويلة الى كولومبيا لتدرب

عصابات المخدرات هناك على القتل والنسف) .

ان حوادث القنابل وخطف الطائرات وتفجير العربات . . هى حوادث فردية يمكن أن تقوم بها أجهزة جاسوسية محترفة لتلطيخ الاسلام وتشويهه . . ولايوجد أسهل من أن يترك المسافر حقيبة مليئة بالمتفجرات فى مطار أو فى سوق مزدحم أو فى طائرة . . ثم يفجرها بجهاز ريموت كونترول وهو جالس يشرب سيجارة فى مقهى . . ثم يسارع الى تليفون المقهى . . ليقول . . انه من جماعة الجهاد الاسلامى . . أو جماعة محمد . . أو صوت الاسلام . . أو أى كلام يخطر على باله .

وحرب إيران إذا كانت من ورائها وساطات اسرائيل وأسلحة أمريكا وأوروبا . . فإنها يمكن أن تأخذ معنى جديدا وأبعادا جديدة . .

وكلام جورباتشوف عن الأصولية الاسلامية ليس كلاما هينا .

ثم يكون لهذه الأحداث بعد آخر أعمق . . حينما يثير منظر فتاتين صغيرتين بالحجاب كل هذه الزوبعة الدعائية فى باريس ضد الاسلام وقيمه . . أو يثير كتاب عدوانى مثل آيات شيطانية كل هذه المساندة والتأييد من الدول الأوروبية . . ثم نعلم أنه يدرس فى جامعات أمريكا . .

إن هذا يكشف عن كراهية وغل وعداوة لكل ما هو اسلامى . . عند شعوب تدعى الديمقراطية والليبرالية وتدافع عن الحريات وتتكلم باسم حقوق الانسان وحرية الأديان .

وعلى الجانب الآخر نرى تعاطفا عالميا مع اليهود .

الفاتيكان يبرىء اليهود من دم المسيح فى وثيقة رسمية موقعة من بابا الفاتيكان وسدنته وكرادلته .

ثم نسمع أن المجتمع الدولى بصدد النظر فى تبرئة الصهيونية

من تهمة العنصرية .

ثم نقرأ أن موشى أرينز وقف فى حفل اعادة العلاقات مع تشيكوسلوفاكيا ليقول ان هذه بداية قصة حب بيننا وبين تشيكوسلوفاكيا بعد طول فراق وسوف نحرص كلانا أن نعوض ما فاتنا طوال هذا الهجر .

ويقف هانز مودرو الرئيس الألمانى الشرقى ليقول . . سوف ندفع نصيبنا من المظالم التى أوقعتها ألمانيا النازية باليهود وما ألحقته بهم من إبادة .

ما هذه النبرات الجديدة التى تسيل حبا وهياما . .

لا أصدق أن الغرب المسيحى قد وقع فى غرام الصهيونية اليهودية الى هذا المدى . . وأن يخرج هذا التعاطف من قلب الفاتيكان أعجب . . (ورأى اليهودية فى عيسى وأمه معروف . .) فما رأوا فيه مسيحا بل دجالا . . وما كانت أمه فى نظرهم العذراء الطاهرة بل البغى العاهرة . . فكيف أغمضت الكنيسة عينها عن كل هذا ؟

ولو تعاطف الغرب المسيحى مع الاسلام لكان هو الأمر المعقول . . فالاسلام اعترف بنبوة عيسى وآمن به وقال عنه أنه كلمة الله ، وأنه روح من الله ، وأن أمه صديقة وعذراء وطاهرة وأنها خير نساء العالمين .

ولكن الذى حدث كان العكس . . التقى الغرب المسيحى مع الصهيونية ، لأن الحاكم كان الهوى والمصلحة والأطماع وليس الدين . . فما عندهم دين ولا إيمان بشىء . . وإنما أراد كل منهم أن يستعمل الآخر ليصل الى هدفه وهو ضرب الاسلام . .

هل أدركوا أن الاسلام هو أكبر قوة تعبوية فى المنطقة فقرروا ضربه . . ومن هم ؟!!

أخشى أن يكون مسرح التاريخ يعد ويمهد لفتنة جديدة ، وأن نكون نحن المسلمين وقودها القادم .

ألا يستحق منا هذا وقفة تفكير . . ألا يستحق نوعا من التحرك .

وألا يستحق منا كدول عربية أن نقف لهذه الفتن صفا واحدا . . وأن نجتمع على كلمة . . وأن نتفق على رأى . . وأن نتعاون . . وأن نستعد . .

ان الخطر لا يستهدف دولة بعينها . . ولكنه يستهدف المنطقة كلها . . بل هو يستهدف عنصر الوحدة فيها . . يستهدف النسيج الضام الذى يجمعها . . الاسلام . . وهو ينتشر بخبث سرطانى مستخدما نفس المصطلحات والشعارات الاسلامية . . بل والآيات القرآنية والأحاديث . . يجعل منها موضع خلاف ومعارك . . ويجعل منها أسبابا للتكفير وللتنفير بين الفرق المختلفة ، ثم يجعل منها أسبابا للتراشق بالرصاص والنيران .

والشباب المخدوع ينساق وراء هذا الحماس المفتعل ظنا منه أنه حماس دينى . . ثم يصبح مخلبا لعملية سرطانية تهدف الى اقتلاع الدين كله ، والى تشويه وجه الدين كله .

بعض الوعى مطلوب يا شباب فى كل موقع وعلى كل أرض عربية . .

انهم يريدون أن يقولوا . . إن الإسلام ضد الحضارة . . وأنه قوة رجعية . . وأنه خطر على التقدم .

ويريدون أن تخرج الشواهد على هذه المزاعم منا . . منا نحن . . ومما يجرى فى بلادنا . . ومما نفعله بأنفسنا .

ثم يجعلوا من هذه الشواهد ذريعة ليفعلوا بنا ما يشاءون . . أو بشكل أدق لتفعل بنا اسرائيل (وكيلة عنهم) ما تشاء .

ثم نجد دولا كبرى مثل الاتحاد السوفيتى وأمريكا وراء هذا المدد

الجديد القادم ليشد أزر اسرائيل (مليون مهاجر يهودى) . . الرجال من الإتحاد السوفيتى ، والسلاح الذرى والصواريخ والدبابات من أمريكا

الغرب المسيحى يصنع من اسرائيل عربة ملغومة يفجرها فى وجه الدول العربية .

لقد فشل فى تجريك الحملة الايرانية عند بوابة العراق .. كما فشلت روسيا فى حربها على الاسلام عند بوابة أفغانستان . . فاستدار الاثنان لتجهيز حملة صهيونية لتضرب الاسلام عند المنبع .

حرب صليبية ثانية يبيت لها . . هذه المرة بأيد اسرائيلية وتجهيز غربى .

ريتشارد وست يكتب فى الاسبكتاتور اللندنية يقول : إن الخطر الشيوعى قد اختفى ليظهر خطر جديد يهدد الحضارة الغربية هو الاسلام والأصولية الاسلامية . . يكتبها بصراحة . .

وما دليله على هذا الاتهام . .

أنه نفس الكلام التافه المعاد عن طفلتين مغربيتين تلبسان الحجاب . . وعن أصوات فى لندن تطالب بمدارس خاصة للمسلمين . . وفرق ارهابية فى لبنان تخطف الرهائن وتفجر العربات .

هل يضحك على نفسه أو يضحك علينا .

طفلتان مغربيتان فى الحجاب تهددان الحضارة الغربية . . ؟ يا ألطاف الله !!

ثم ماذا يجرى فى لبنان . . ان المسيحى هو الذى يحارب المسيحى . . (سمير جعجع يحارب عون) .

والمسلم يحارب المسلم (شيعة أمل تحارب شيعة ايران) .

وما يجرى فى لبنان لم تصنعه أصولية اسلامية أو أصولية مسيحية ، وإنما صنعته عدم الأصولية فى أى شىء ، وعدم الانتماء لأرض أو بيت أو شيعة أو دين . . انه ظاهرة انحلال أمة . . ولكنهم يحاولون أن يجعلوا من الاسلام مسئولا وحيدا عن كل النكبات . . انها الكراهية التى تطفح على أقلامهم .

هل اقتنع الاخوة العرب أن المليارات التى وضعوها فى البنوك الأمريكية قد أخطأت مكانها . . وأنها سوف تصبح حربا عليهم . . ودبابات وصواريخ تهدم بيوتهم وتقتل أولادهم .

إن الرأى العام العالمى يتحول بفعل أقلام مريبة . . والحوادث تفتعل لالصاق التهم بالاسلام والمسلمين والصحف تعطى بسخاء لحملات مشبوهة . . والمسرح يعد لعدوان جديد . .

وما صنعته روسيا وأمريكا بدفع مليون مهاجر الى شريط محدود من الأرض فى الضفة الغربية لن يكون له الا معنى واحد :

أن اسرائيل والعرب لن يصبح أمامهما سوى حل واحد هو أن يزيح أحدهما الآخر ليعيش ، ولا يعود هناك مفر أو مخرج من صدام مسلح وحرب محتومة . . حرب تقف وراءها وتمدها أكبر ترسانتين للسلاح لضرب خطر مزعوم اسمه الاسلام .

فأين نحن من كل هذا . .

وهل صحونا من النوم أم مازلنا نفرك أجفاننا .

وهل نرى غدا انتفاضة الكبار . .

ولا أعنى بالانتفاضة حربا وصيحات عنترية فى الميكروفونات .

ولكن الانتفاضة فى مفهومى هى أن نجلس معا جلسة رجال لنكون جبهة سياسية واحدة ، وتكاملا اقتصاديا وسوقا عربية

مشتركة ، تتحول فيها المليارات الراقدة فى البنوك الى همة وانتاج ورخاء وعضلات تواجه التهديد بتهديد مثله ، وتقرع الحديد بالحديد .

لقد جلست الدول الأوروبية الفقيرة (أسبانيا واليونان) مع الدول الأوروبية الغنية (فرنسا وبلجيكا وهولندا وفنلنده والسويد) وفى سنة ١٩٩٢ يواجهون العالم جبهة واحدة واقتصادا واحدا متكاملا وعملة واحدة .

فهل نحن أقل منهم .. أم نحن معوقون ومصابون بتخلف عقلى .. ؟ !!

قراءة فى كتاب المستقبل

الاحداث السريعة المتلاحقة التى جرت فى بداية التسعينات تغرينا بقراءة الكف .. اقصد كف التاريخ .. والنظر فى الكرة البللورية للمستقبل .. فاشياء كثيرة انتهت وانقرضت ، واشياء اخرى بسبيلها الى الانقراض .. واشياء ثالثة فى طريقها الى التحول .. واشياء اخرى تولد .. واشياء تموت .

الاستعمار العسكرى انتهى وكانت آخر محاولاته هى الغزو الثلاثى لمصر فى ١٩٥٦ .. ومحاولة اسرائيل الفاشلة لغزو لبنان .. والغزو السوفيتى الفاشل لأفغانستان .. وما فعلته أمريكا من قبل بانزال جيشها فى اوحال فيتنام .

وكان الفشل المشترك الذى أصاب كل هذه المحاولات ايذانا بانتهاء عصر الاستعمار العسكرى .

ثم رأينا موجة من الغزو الفكرى والاستعمار الأيديولوجى تغرق نصف العالم فى حروب اليمين واليسار وفتنة الماركسية والشيوعية .. ثم عاصرنا نهايتها وانحسارها وأخيرا اندحارها حتى فى داخل قلعتها السوفيتية .

ورأينا اللقاء بين الفكر الشيوعى وبين المناخ المتخلف فى دول العالم الثالث يفرز زعامات مستبدة تغمر شعوب أمريكا اللاتينية ودول أفريقيا وأوروبا الشرقية بنظم قمعية بوليسية تصنع بدورها دوامات من الفساد والارهاب .. ثم رأيناها تتساقط واحدة بعد أخرى .. وما بقى من أراجوزات الاشتراكية انتهى عمره الافتراضى وهو فى طريقه الى الزوال .. وآخرها أراجوز كوبا .. بابا كاسترو العجوز الذى أصبحت خطبه نكتة .

وانتهت خرافةالحروب الكبرى .. وبعد الحربين الأولى والثانية .. لن تقوم حروب كبرى مثيلة .. وهناك ادراك عام فى العالم اليوم أن أى حرب كبرى لن تبقى على غالب ولا مغلوب .. وهم لهذا بدأوا بتدمير الترسانات والصواريخ وشرعوا فى تسريح الجيوش .. وبدأوا يجلسون للتفاهم فى الكبيرة والصغيرة .

والنغمة السائدة اليوم بين الكبار .. هى .. الديمقراطية .. والحوار .. والحل الدبلوماسى لكل شىء .. أما الحروب فندعها للصغار يدمرون بها بلادهم .. ثم ندخل نحن لنبنيها من جديد بالدولار والمارك والديون والقروض ..

والقوة الجديدة التى ولدت اليوم هى القوة الاقتصادية والعضلات الاقتصادية .

قوة الدولار والين والمارك ..

قوة الانتاج وعائد العمل ..

وبهذا وحده سوف تتفاضل الأمم بين غالب ومغلوب .. الغالب

هو الذى سيبيع أكثر ويصدر أكثر ويتاجر أكثر على اتساع العالم .

والأسلحة الجديدة هى العقل الذى يخترع والأيدى التى تنتج .

المصانع والميكنة الزراعية . .

الكومبيوتر والهندسة الوراثية .

الخبرة . . والاقتصاد . . والحركة الحرة لرأس المال ليبنى ويستثمر ويصنع ويبدع فى أنظمة سياسية مرنة ديمقراطية تشجع الناجح لينجح أكثر . . وشعارها . . بورصة حرة وسوق حرة ومن يريد أن يأكل فعليه أن يعمل . .

وفى هذا التنافس والسباق لا حياة للسمك الصغير ، ولا للشركات الصغيرة ، ولا للدول الصغيرة . . والموضة الجديدة هى التجمعات . . تدخل كل عدد من الشركات فى تجمع كبير وهيكل اقتصادى كبير . . وكذلك الدول . . تدخل فى تجمع أوروبى ، وتجمع أمريكى ، وتجمع آسيوى ، وتجمع أفريقى .

والتجمع بدوره يحتاج الى أخلاقيات وتعاقدات ، ويحتاج الى نبذ الشخصانية والفردية والطائفية والقبلية والعصبية . . وإلى نشأة روح الجماعة ، وأخلاقيات الجماعة ، وتقاليد الأسرة .

فهل نستطيع أن نفعل هذا كعرب ليكون لنا تجمع عربى ، وليكون لنا كرسى على مائدة القرن الواحد والعشرين وندخل كجبهة كبيرة عاملة .

وهل نستطيع أن ننبذ الشخصانية والفردية والطائفية والقبلية ، وأن نكف عن التنابذ كسورى وعراقى ومصرى ومغربى وجزائرى ، وأن نتصرف كإخوة .

بطاقة العضوية فى المنتدى الانسانى الجديد . . بطاقة أخلاقية اسمها أخلاقيات الجماعة وروح الأسرة .

وبدونها لا دخول الى هذا العصر .

وإذا تخلفنا عن العصر فلا مكان لنا الا مع القرود فى تنزانيا وغابات الأمازون حيث يتعارك النسانيس على سباطة موز . . بينما تندفع الإنسانية للصعود الى القمر والتجول بين النجوم .

ولأن الحرية هى الوقود الحيوى لهذا الاندفاع الحضارى ، فسوف يحدث تغيير آخر فى النظم والحكومات المقبلة . . هذا التغيير اسمه . . اللامركزية .

رغم التجمعات العملاقة فلن تكون لهذه التجمعات قبضة مركزية ، وانما سوف تتألف من وحدات حرة . . أشبه بالولايات الصغيرة تتمتع بالحرية واللامركزية فى اصدار القرار . . ويجمعها اتحاد فيدرالى مرن .

حتى المدن الكبرى . . سوف تنقرض فى المستقبل ، لأن زحامها وضجيجها وتكدسها سبب من أسباب التلوث .

وسوف تكون المدن الجديدة أشبه بالقرى الانتاجية الصغيرة .

ولن يكون هناك وابور نور وسنترالات تليفون وأعمدة تلغراف وقضبان ترام وسكك حديدية . . وانما سيكون لكل منزل وحدة اضاءة خاصة به . . وسيتم الاتصال لاسلكيا . . وسيكون الانتقال بالطيران العمودى بدون مطارات وبأنواع جديدة من الطاقة بدون مخلفات ضارة .

ولن تكون هناك جيوش . . وانما بوليس دولى لفض المشاكل . . وسيكون مصير أى زعيم مستبد أن يعتقل فى ٢٤ ساعة كما حدث مع نورييجا . . بمجرد أن يرسل شعبه برقية احتجاج الى مجلس الأمن .

ومع الحرية سوف يأتى الانحلال والانفلات الجنسى وسوف تنهار الأسرة الصغيرة رغم ميلاد الأسرة الكبيرة ونشأة التجمعات .

ولن يحمى الأسرة الصغيرة من هذا الانحلال سوى وجود القيم

الدينية وظهور القيادات الروحية من وقت لآخر . . كآية من آيات رحمة الله .

وستكون هموم العالم الجديد ومشاكله حسب أولوياتها هى

القنبلة السكانية .

قنبلة المخدرات .

الانحلال .

التلوث .

التضخم .

الأمراض الفيروسية الجديدة التى سوف تنشأ من الاباحية الجنسية .

ورغم العلم والوفرة والحرية سوف تزداد حالات الجنون والاكتئاب والإنتحار . . ولن يكون الانسان أسعد حالا من إنسان اليوم رغم غرقه فى الملذات وفى الحياة المرفهة .

أعرف ماذا يجول بخواطر القراء الآن . . وأعرف السؤال الذى يقف على أطراف ألسنتهم .

وأين اسرائيل على خريطة المستقبل . .

والحق أنى لا أجد لهامكانا على خريطة المستقبل .

لا أرى اسرائيل الكبرى فى الأطلس . . وإنما أرى اليهود فى القدس وحيفا ويافا مع المسلمين والنصارى . . يتعايشون . . بعد أن انتهت الصهيونية .

قتلها السلام . . قتلتها اليد الممدودة بالمحبة .

لم تستطع الصهيونية أن تتأقلم مع السلام لأنها عدوانية توسعية فى جوهرها . . فلم تستطع أن تمثل الدور طويلا ، وما لبثت أن جاهرت بالعداوة وبدأت بالحرب فى عالم تجاوز هذا الأسلوب من زمن

ولم تجد الحليف ووجدت العرب أمامها جبهة واحدة . .
وانتهت الأكذوبة فى ساعات . .
ان العالم المنحل الغارق فى ترفه وملذاته لن يقبل أن تهدم اسرائيل عليه بيته بدمار نووى لمجرد أنها تحلم باسرائيل كبرى . .
الكل يريد أن يعيش بدون هذا الصداع الاسرائيلى المزمن . .
ووقفت اسرائيل لأول مرة منفردة .
والويل للمنفرد فى عصر التجمعات .
وهكذا تغيرت الخريطة قبل أن يدخل العام الألفين .
وإذا كان هناك من يشعر بالدهشة من انتهاء الصداع الصهيونى فى ٢٤ ساعة فلينظر خلفه كيف انتهى الصداع الشيوعى فى كلمة أطلقها رجل فى جموع الشعب الروسى . . جلاسنوست . . وكيف انهدم المعبد فى دقائق وتغير التاريخ .
انها العادة المعتادة .
إن ما يبنى فى سنين ينهار فى ثوان . .
والنيل يجرى من ألوف السنين ، وكم قامت على ضفتيه ، وكم انهارت عروش وأمم وامبراطوريات . . . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .
قد يقول قائل : ولماذا لا تتوقع أن ينحاز العالم للعدوان الاسرائيلى كما تعود أن ينحاز اليه كل مرة . . لماذا لا ينقلب علينا الأحمر والأصفر والأبيض وفيهم من اللدد والكراهية للاسلام ما فيهم ؟ !
أقول . . لو حدث ـ وهو أمر محتمل ـ وتكرر ما جرى فى غزوة الأحزاب . . حينما استطاع اليهود أن يؤلبوا قبائل الجزيرة على محمد عليه الصلاة والسلام . . أو كما جرد أبرهه جيش الفيلة على الكعبة .

لو اختلت الكفة بين قلة من أهل الحق ، وكثرة من أهل الباطل . . فإن الله لا يطلب من القلة الا الثبات وبذل أقصى المستطاع . . ثم هو ناصرهم بوسائله . . وتلك أيضا سنته التى لم تتبدل مع أهل الحق بطول التاريخ كما حدث يوم الفيل ويوم الأحزاب .

وليس ذلك قراءة للطالع أو رجما بالغيب . . وانما هى سنن إلهية . .

والشرط الوحيد لعمل هذه السنن أن نكون المسلمين الجديرين بها ، وأن نقوم بواجبنا وننهض بتكاليفنا فيمدنا الله بمعونته .

وهى حكايات لم يأت أوانها بعد يا سادة . . فلم نتجمع بعد كدول عربية بينها ذلك الرباط الوثيق الحميم من وحدة الدم والمصير . . ولم نطرح بعد ما فينا من شخصانية وفردية ، ولم نرتفع بعد الى أخلاقيات الجماعة وروح الفريق . . ومازال اسلامنا مشوبا بحب الدنيا وهوى النفس . . ومازالت حروبنا كلاما . . ومعاركنا شعارات .

ربما فى سنة ألفين نصبح أهل الوقت .

أما الكلام عن الحرب الآن وفى هذا الزمن الردىء . . والتهديد المتبادل بالصواريخ . . والتلويح بالمخزون النووى فى تل أبيب ، فهو استدراج خبيث لجر رجل العرب لحرب فى غير أوانها واستفزازهم ليتورطوا فى حماسات عنترية يكون فيها دمارهم .

هدوءا يا سادة . .

لا يستدرجنكم الخبث الاسرائيلى والتآمر الأنجلو أمريكى الى عمل طائش وكلام غير مسئول وتلويح عنترى بالسيوف الخشبية .

لا تعطوهم الذريعة التى ينتظرونها .

وتأكدوا أن السلام يكسب أكثر .

السلام هو الحبل الذى يشنق الصهيونية . . لأن الصهيونية عدوانية توسعية بطبيعتها ولا يخنقها حتى الموت إلا كلمة السلام . . ومائدة الحوار . . ومشروع الاتفاق . . أى اتفاق على أى حدود . . أو أى شروط . . لأنها لا تريد لطمعها حدودا ، ولا لعدوانها شروطا .

دعوها تفضح نفسها وتجهر بعدوانها ليراها العالم متلبسة بشرها وينقض عليها . .

وحينما ينضج الموقف للمعالجة بالقوة . . فنحن نختار الوقت وليس هم . .

ونحن الذين نختار الوسيلة وليس هم . .

ألم يقل لنا ربنا

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ .

فهل أعددنا لهم ما استطعنا من قوة ؟ !

وقبل اعداد العتاد . . هناك اعداد النفوس . . فهل أعددنا النفوس ؟ !

أليس من الأفضل بدل التلويح بالسيوف الخشبية . . أن نجلس معا جلسة رجال ويضع كل منا ما يملك من مال وخبرات وصناعات لنبنى قوة ردع دفاعية عظيمة جديرة بكنوزنا ، وبما أفاض الله علينا من بترول وخامات ومعادن وثروات .

وهل كانت أمريكا التى ائتمناها على المليارات بلدا صديقا . . ؟!!

أمريكا التى أعدت ونظمت وتعهدت هجرة أربعة ملايين يهودى من روسيا الى اسرائيل ، ومازالت تضغط بكل الوسائل على الطيران السوفيتى ليحملهم رأسا من موسكو الى تل أبيب ، ثم لا تكتفى بذلك بل تعلن من منابر الكونجرس أن القدس هى عاصمة اسرائيل

(وكأن القدس عزبة خاصة تملكها) ثم تضغط على سبعين دولة ليصوتوا لالغاء قرار مجلس الأمن بادانة الصهيونية . . ثم تضحك على العرب بتصريح عبيط تقول فيه إنها لا تشجع على توطين المهاجرين فى الأرض المحتلة . . ياسلام على العواطف . .

أمريكا التى تقرر على طلبة الجامعات فى كاليفورنيا كتاب سلمان رشدى « آيات شيطانية » تقديرا منها لهذه البصقة التى بصقها المؤلف فى وجه كل مسلم . .

أمريكا التى تقول جرائدها واذاعاتها . . إنه بعد هزيمة الشيوعية لم يبق للحضارة عدو سوى الاسلام . .

الاسلام إذن مستهدف والعرب مستهدفون، وأمريكا هى التى تستعمل اسرائيل وليس العكس ، وهى التى تدفع يهودها المنكودى الحظ للقيام بهذه الهجمة الصليبية على ديارنا فى الوقت الذى نعتقد فيه أنه اللوبى الصهيونى هو الذى يستغل أمريكا . .

لا ياسادة . . بل هو سيناريو أمريكى . . وقد أصبح الآن سيناريو أنجلو أمريكى وغدا يكون أنجلو فرنسى أمريكى . . وهى كل يوم تجمع توقيعات وتؤلب أطرافا جددا . . لتحشد الأحمر والأبيض والأصفر وراء طفلها المدلل اسرائيل لتستخدمه كبش أضحية لأهدافها .

وإذا صدقت هذه الرؤية . . فلا نجاة لنا من الكثرة الباغية . . الا اسلامنا .

نرابط فى إخلاص وثبات ونطلب من الله أن ينجزنا ما وعد . . ولن يخلف الله وعده . .

أمريكا .. والجنين الذى حملته

موضات الرسم الحديث تحولت أخيرا الى كم عجيب من السخف والعبث والهلاوس .. وأصبحنا نرى لوحة مكتوبا عليها كذا ألف جنيه ومبيعة ، وهي عبارة عن صفيحة قمامة مقلوبة وقطع من الخيار المخلل وخبزمتعفن وفأر ميت .. ولوحة أخرى عبارة عن لوح خشب محروق .. وقطعة نحت عبارة عن زلطة وقالب طوب .. ولوحة رابعة عليها طرطشة ألوان .. ولوحة خامسة عليها حبر مدلوق .. ولوحة عليها خربشات ونغبشات .. وسلسلة من الهلوسات المعلقة على الجدران .. تحت اسم متحف الفن الحديث .

ثم كتالوجات أنيقة وكتيبات غاية فى الشياكة مكتوبة بأكثر من لغة ومليئة بالحذلقة الفلسفية والكلمات الهلامية والأفكار الضبابية

والمصطلحات الملتوية بلا معنى . .

ثم لجان تحكيم وجوائز ونقاد وأعمدة تسبيح وتمجيد فى الصحف . .

من روج لكل هذا السخف ؟ !

ومن هؤلاء الأجانب الذين يجلسون فى مقاعد التحكيم .

وما حكاية هذه الموجة الفنية وتاريخها .

فى كتاب للدكتورة زينب عبد العزيز . . « لعبة الفن الحديث » عرض جرىء بالأسماء والأرقام والتواريخ لهذه المؤامرة المحكمة التى بدأت تغزل حبائلها العنكبوتية منذ أكثر من سبعين سنة .

ان مؤسسى هذه المدرسة كلهم من اليهود . . وهم سوتين . . وكيكوبين وزاك وبولياكوف وجاربيل وشاجال وباسان وماكس باند وجوتليب وجوان ميرو وماكس أرنست ودى كيريكو وبيكاسو وجراى وفوجيتا وكاندنسكى وبولوك .

كتيبة تخريب جهنمية أخذت على عاتقها تحطيم قيم الجمال وبتر الانسان من وطنه وأرضه وواقعه والقائه فى دوامة من الفوضى والعبث تحت مسميات التحرر والثورة والتجديد .

وكانت وسيلتها الى ذلك الغاء الموضوع ، ورفض الواقع ، والدعوة الى عدم الانتماء بدعوى التجريد والسيريالية واللاشكلية .

ولم يكن التجريد شيئا جديدا من ابتكارهم ، فقد سبق أن قدم الفن الاسلامى التجريد فى زخرفاته المستوحاة من وحدات الزهور والطيور وأوراق الشجر . . وقدم جمالا وانسجاما ولم يقدم قبحا ولا هذيانا . .

والرسم البدائى والنحت البدائى قدم ألوانا من التبسيط والتجريد دون أن ينحدر الى السخف والعبث .

ولكن عند أصحابنا كان العبث هدفا ، وكان الهدم غاية .

وقد صنعوا أجهزة للغش ومؤسسات للتزييف والترويج واستخدموا الاذاعة والصحافة والتليفزيون ، ونظموا المسابقات والجوائز ، وأقاموا المزادات المفتعلة ولعبوا لعبة السماسرة والبورصة والتجارة التى يتقنونها كيهود .

وكانت هناك عصابات من جامعى اللوحات تعرف كيف تغزو المتاحف وقاعات العرض ، وكيف تشترى مقالات النقد وأبواب الفن فى الصحف ، وكيف ترشو الأقلام الكبيرة المؤثرة .

ومن وراء هذه الواجهة الظاهرة كانت هناك القوى الماسونية وكتيبة المديرين الأذكياء لكازينو القمار العالمى يحركون اللعبة ويديرون البنك ويحكمون البورصة .. وكان خلف هؤلاء .. الأسماء الصهيونية الكبيرةالتى تلعب بالملايين مثل آل روتشيلد وفيلدنشتاين وروزنبرج ودوفين .. المافيا اليهودية التى تعمل من وراء الكواليس .

قوى خفية كانت تحكم اتجاهات الفن ، وتشجع التيارات التى تريدها ثم تساندها فى المزادات وترشحها للمتاحف وتفرضها على الجمهور الساذج ، وعلى الصحف وأعمدة الفن وتدفع بها الى المحافل الدولية .. وهدفها من وراء ذلك معروف .. هو تحطيم جميع المقدسات ، وهدم القيم الجمالية ، وتخريب التراث ، وفرض القبح والفوضى ، وعدم الانتماء ، وكلها كانت تتمثل فى هذا الانفلات التجريدى والسيريالى والخربشات والطرطشات والألوان المسكوبة على اللوحة فى عشوائية باسم الفن الحديث والتحرر والاستقلالية .

ثم جعلوا القوانين تسن لخدمتهم .

اعفاءات ضريبية مهولة بقيمة اللوحات إذاأهديت للمتاحف الأمريكية .

باب جميل للتهرب الضريبى المشروع .. فلا أسهل من أن تكتب على اللوحة كذا مليون دولار ثم تهديها الى متحف شيكاجو أو نيويورك وهى لا تساوى ملاليم فتعفى ملايينك من الضرائب .

وهكذا لم يكن الفن الحديث ثورة فنية .. وانما كان عملية احتيال ومافيا سياسية .. ومؤامرة ماسونية للهدم والتشويه ونهب ذكى لأموال الجماهير المخدوعة .. أشرف عليه ودبره المكر اليهودى .

واحد فى المائة فقط من هذه الأموال تذهب الى الرسامين الذين رسموا هذه اللوحات ، وتسعة وتسعون فى المائة تذهب الى جيوب التجار الذين رسموا اللعبة وكلهم يهود .

والضحية جمهور كبير غيبته وسائل الاعلام ، وخدعته الأقلام المأجورة ، وضللته العقول الماكرة التى صنعت محفلا وقداسا وكهنوتا من لا شىء .

وتجاوز التدمير والعبث مجال الفنى التشكيلى ليشمل المسرح والشعر والباليه والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد .

وظهرت روح التدمير والفوضوية والعبثية فى أعمال شعراء مثل أرابال وروائيين مثل بيكيت ، وفلاسفة مثل كارل ماركس وماركوز وسارتر وعلماء مثل فرويد وكلهم يهود .

كتيبة كرست مواهبها للنسف والتدمير .

معاول جهنمية اسمها الشيوعية والاشتراكية والوجودية والعبثية والفوضوية والفرويدية قلبت الأرض وأتت على أخضرها ويابسها وأفقرت دولا ودمرت اقتصاديات ، وضللت عقولا وأضاعت شبيبة وصنعت لنا هذا العالم العجيب الغارق فى الجنس والعرى والعنف والمخدرات .

وحرص اليهود على أن يضعوا يدهم على كل منابر الرأى

والكلمة والخبر ومنافذ صنع القرار .

فهم أصحاب دور النشر ، وأصحاب وكالات الأنباء ، ومالكو دور الصحف وشركات السينما والفديو والتليفزيون .. وهم فى الكونجرس .. وهم بين مستشارى الرئيس ، وهم فى البنوك ، وهم فى البورصة .. حتى نقل وبيع وتوزيع الورق فى مؤسسةالنقل البحرى تتبع هاشيت اليهودية ..

كتب سلين فى عام ١٩٣٧ يقول : من اجمالى ألف مليار قيمة الثروة الفرنسية يملك اليهود سبعمائة وخمسين مليارا .

وكتب بيجمان يقول : إن الفريق الوزارى فى حكومة ليون بلوم كان مكونا كله ١٠٠ ٪ من اليهود والماسونيين .

وأكبر قوة تدميرية فى العالم وهى القنبلة الذرية فكر فيها اينشتين وصنعها أنريكو فرمى وكلاهما يهودى .

وحيثما وجدوا فى أى مكان وأى زمان عبر التاريخ كان نهج هذه القبيلة من بنى اسرئيل هو الفساد والتدمير وصناعة الأزمات وهدم الحكومات الحرة لاقامة حكومات عميلة ، وإشاعة الانحلال واجتثاث الحضارات ومحو جذورها .. كل هذا فى سبيل ما يسمونه بالخبطة الكبرى (LE GRAND OEUVRE) وهى السيادة على العالم .

هذه هى اسرائيل .

وهذا هو الجنين الذى حملت فيه أمريكا ، والذى ولدته وأرضعته وربته ، والذى تفرضه اليوم على العالم ، وتفرض فساده وافساده حاملة وحدها اثم هذه الجريمة التاريخية .

لقد انهارت الشيوعية وتحولت روسيا الى دولة من دول العالم الثالث تتسول المعونات ، وأصبحت أمريكا قوة منفردة وتوشك حكومتها أن تصبح حكومة كونية تتحكم فى مصائر كوكب الأرض

على اطلاقه وتملك تجويع الشعوب كما تملك اطعامها ، وتملك تنويرها كما تملك تضليلها بما تبث فى أقمارها الصناعية التى تجوب الفضاء . . ، وهى تملك العيون والجواسيس والترسانات النووية وكل قوة الدمار وقوى البناء .

وهى تجعل كل هذا فى خدمة النزق والطيش الاسرائيلى . . وفى خدمة الصلف والكبر والعناد والعنصرية التى يظن بها اليهودى أنه الجنس المختار للسيادة على العالم .

وهى بهذا يمكن أن تنزلق الى جرم تاريخى تصبح هى نفسها ضحيته هى وكل ما هو شريف وجميل وخير على هذه الأرض .

وإذا كان المسيح عليه السلام قد حملت فيه العذراء بدون أب ، فإن المسيح الدجال (اسرائيل اليوم) قد حملت فيه أمريكا بدون أب وربته فى حجرها وأعطته أنيابا ذرية ومخالب نووية ليكون اللعنة التاريخية التى تحل بالمستقبل . . وتركته يقتل وينشر الفتن ويتاجر فى المخدرات ويفسد العالم وهى من ورائه تسانده بالفيتو كلما ضبط متلبسا بجريمة . . وكلما هاج العالم ، وكلما احتج القانون مطالبا بحقه .

ولكنا نعيش على كوكب دوار . . لا يدوم له حال . .

ولا تكف فيه تحولات الليل والنهار . .

وبالأمس كان للشيوعية طاغوت . . وكان لها جلجلة وصلصلة . . وكان لها أبناء سفاح يدورون فى فلكها يسبحون ويكبرون . . ويطغون ويبغون . . ويحكمون ويتجبرون . .

واليوم سقطوا . . كأوراق الشجر الميتة .

والذين بقوا منهم تبرأوا من الملة . . وأنكروا النحلة

ويصق الأحياء منهم على قبور الموتى .

وقالوا لم نكن نعلم . . كنا مخدوعين .

والذين كانوا فى السجون خرجوا .
والذين كانوا أحرارا دخلوا مكانهم .
والذين كانوا يفتلون حبال المشانق . . أصبحت رقابهم من نصيب تلك الحبال . . والذين حفروا القبور وقعوا فيها .
انه كوكب دوار . . لا يدوم له حال .
ولعل الرئيس الأمريكى . . وهو رئيس العالم اليوم . . يقف معنا وقفة تفكير . . وقفة تأمل . . وقفة مسئولية تناسب المكانة التى يحمل أمانتها . . قبل أن يقول مرة أخرى . . ڤيتو . .
فإن الدنيا لا تدوم على حال . .

التخطيط لدمار العالم

الزمن دوار ..

ومن يشاهد ستالين فى أوج مجده وهو يتحرك مثل آلهة الأساطير ، وهو يحيى ويميت بكلمة من فمه ، وهو يحول الألوف من خصومه الى تراب والى مقابر مجهولة ، ويخسف الأرض بمن يخطر لهم أن يقولوا لا .. والأطفال فى المدارس يبدأون درس الصباح بالترنم باسمه ، والكبار يتلون كتبه فى تقديس كما الأناجيل ، والشعراء ينشدون الملاحم فى عبقريته ، والصحف تكتب والاذاعات تمجد ، والمجلات تهتف ، والجرائد تصفق وهو يختال فى فيلم سقوط برلين كأنه صنم والرفاق الشيوعيون فى بلادنا يحملون صوره ويتمتمون فى خشوع : قال الرفيق ستالين فى صفحة كذا ، ثم يحكون عن بليخانوف وغيره من الصحابة الأطهار والرفاق البررة من فقهاء الملة الماركسية المنزهة !! ويدخلون السجون من أجله ويستشهدون فى سبيله ويحجون الى الكرملين ليطوفوا بجثمانه المحنط وينتظروا فى طابور طويل ليفوزوا بنظرة الى وجهه الكريم .

ثم من يشاهد ذلك الستالين نفسه بعد سنوات وقد ألقى بجثمانه خارج الكرملين وأحرق ودفن فى لا مكان ثم نزعت صوره وحطمت

تماثيله ولعنت سيرته وسبت ملته وطوردت سلالته وفضحت بشاعاته وعريت جناياته ومزقت كتبه وسفهت أفكاره ، وأصبح الذين يعرفونه ينكرونه ، وبات الذين كانوا يشيدون به يخجلون من اسمه .

هكذا* فى دورة زمان واحدة . .

تحول النهار الى ليل ، والليل الى نهار ، والأسود الى أبيض ، والأبيض الى أسود .

وماوتسى تونج معبود الشعوب . . الاله الذى سجد له ألف مليون صينى ومرغوا الجباه فى التراب واحتضنوا كتابه الأحمر وحفظوا كلماته عن ظهر قلب . . وتحول عشقهم الى التغزل فى بنيانه الجسدى . . فكانت الصحف الصينية تقول أن وجهه يشع منه النور . . والثورة الثقافية الصينية التى وصلتنا على يد الرفاق المفتونين على أنها بعث ، وكتب عنها هيكل مسلسلاته المجيدة فى الأهرام مهيبا بمثقفينا أن يكون لهم دورهم كما الصينيين .

هذه الثورة عينها التى افتضح أمرها بعد موت ماو . . اتضح أنها المكيدة اللئيمة التى حاول بها ماوتسى تونج أن يتخلص بها من خصومه الاصلاحيين والتى قتل فيها سبعة ملايين صينى ونفى وسجن وعذب أضعاف هذا العدد ، وأنه لم يكن يحكم وانما كان شبحا تحكم من خلفه عصابة الأربعة وعلى رأسها زوجته الداهية (الراقصة سابقا) . . وأنه جر بلاده الى الخراب والانهيار الاقتصادى والتخلف وزج بمواطنيه فى سجن كبير من القهر والطغيان . . سمعنا هذا بأذاننا من أفواه ملايين الشباب الصينى يهتفون ضده بأصوات كالرعد فى ميدان تيان مان من .

وتشاوشيسكو . . الأسطورة الأخرى التى تعودنا أن نقرأ فى جرائدنا صفحات كاملة بالألوان عن النهضة العظيمة التى صنعها فى رومانيا والمعجزات التى حققها فى الصناعة والزراعة والثقافة والسياحة والفنون والعلوم . . وكيف كانت له دولة تحت الأرض من

الحرس والمخابرات والجواسيس ودولة فوق الأرض من الجيش والبوليس وأجهزة الأمن والاعلام .. وكان اسمه أغنية ، وخطبه محفوظات مدرسية ، وأحاديثه مأثورات ، وعصره نموذجا للرخاء والعدالة والهناء .. ثم فجأة انفجر الأتون وخرجت نار الغضب المكبوت فى الصدور .. وتلطخت الصورة الجميلة بالدم .. وظهرت الحقيقة الرهيبة وعرفنا فجأة أننا كنا نمجد سفاحا قاتلا ارهابيا ولصا سرق اللقمة والقوت والأنفاس من شعبه .. وأنه كان عميلا للمخابرات الأمريكية يبيع لها أسرار حلف وارسو بملايين الدولارات ، وأنه كان يبيع كل شىء ويسرق كل شىء .. وأن التمثال الذى صنعته له أجهزة الصحافة والاعلام كان تمثالا من الافك والبهتان والكذب .. وجاءت الخاتمة الفاجعة .. ورأينا بنادق الجنود تتسابق ليكون لها شرف افراغ الرصاصات الأخيرة فى صدره وفى صدر زوجته .. وانهار التمثال الى لا شىء .

نجوم لامعة أفلت .

ومذاهب اختفت واندثرت .

كانت الشيوعية هالة من النور على وجه أتباعها ، وكان المثقفون ينظرون الى الشيوعى على أنه قديس .

وأذكر حين قتل جيفارا فى جبال بوليفيا .. أن انتشرت موجة من التقديس والتسبيح والتهليل والاشادة بالشهيد العظيم .

وظهرت فى باريس ولندن وروما بلوزات عليها صورة جيفارا .

وترنم الشعراء .. وكتب المسرحيون الملاحم .

وفى مصر خرج علينا الشيخ امام المطرب الضرير بأغنية رددها من ورائه الشيوعيون والمثقفون المفتونون .. اسمها :

جيفارا مات .

سقط شبابنا وفنانونا ضحايا لموجة التدليس والتزييف العالمى .. وفيهم فنانون كبار ..

كانت عملية التدليس والتزييف شاملة ومتقنة ومحبوكة بحيث لم ينج منها أحد .

كان الطوفان الذى قال فيه نوح . . لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .

وطم الطوفان وغرقت العقول فى موج الزيف المتلاطم . . لأن كل شىء كان يكذب . . كانت الكتب تكذب وكانت الصحف تكذب وكانت التصريحات تكذب . . وكانت الستينات هى عصر الكذب الشامل .

أيامها لم أستطع نشر كتابى الماركسية والاسلام .

كانت أجهزة الرقابة والقمع تتربص فى كل مكان .

وكان لابد أن يموت عبد الناصر ويظهر السادات على المسرح ويخرج الخبراء الروس من القنال . . ويعبر جيشنا الى سيناء . . ويحطم خط بارليف . . لنستطيع أن نفتح أفواهنا ونقول الحقيقة

وبدأت الحقيقة تخرج الى الناس متسللة فى البداية على استحياء ثم بدأت تجهر . . ثم بدأت تهتف . . ليس فى مصر وحدها . . ولكن فى العالم كله . وظهر فى روسيا سادات آخر اسمه جورباتشوف . . قلب الموازين فى أوروبا كما قلب السادات الموازين فى الشرق الأوسط .

ولم يستطع الباطل أن يستمر .

ورأينا الشيوعية تختفى من العالم . . وتتحطم راياتها فى بلد بعد الآخر .

وهى اليوم تعانى النزع الأخير فى رومانيا .

ان أيون ايليسكو وهو آخر الشيوعيين المحترمين يحاول محاولة أخيرة يائسة أن يصنع انقلابا على البارد ، فيحرك عمال المناجم ليضرب بهم المتظاهرين فى الشوارع (حرب طبقية صغيرة) فى الوقت الذى يعلن فيه أنه بصدد انشاء جيش جديد من الحرس

الوطنى .. بينما الجيش القديم يقف متربصا ..

وهو يتصرف بعقلية ماركسية .. ويحاول أن يعالج المتناقضات بمتناقضات جديدة .. ولن تؤدى هذه الأساليب البالية الا الى المزيد من الخراب .

وعلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية يحاول كاسترو فى كوبا أن يفعل نفس الشىء .

وهى محاولات مقضى عليها بالفشل ..

لقد انتهت الشيوعية لسبب واقعى وبسيط .. انها لم تستطع أن تفى بوعدها للفقراء فزادتهم فقرا على فقرهم .

وبعد سبعين سنة من المعاناة والذل والقهر ما زالوا فى مكانهم لا يجدون الخبز الا بالطابور .

لقد كانت نظريات فاشلة أخذت حظها من الامتحان ومات بسببها الملايين ثم انتهت لحسن حظ البشرية .

ولكن هناك خطط أخرى ومخططون آخرون يخططون لدمار العالم .

وفى السنوات الأخيرة بدأت تطفو على سطح المجتمع الأمريكى جماعات مسيحية ذات توجهات صهيونية مثل شهود يهوه وبرج المراقبة وبناى برث . ثم طائفة أصولية متطرفة هى جماعة الانجيليين (عددها أربعون مليونا) ومنها الرئيس السابق رونالد ريجان ، وتتألف هذه الجماعة من مائتين وخمسين منظمة منتشرة فى الولايات الأمريكية وتمتلك العديد من دور النشر ومحطات التليفزيون (أكثرمن عشر محطات تليفزيونية) والعديد من الصحف والمجلات وتقوم بتنظيم الندوات وادارة الحملات الانتخابية ورحلات السياحة المنتظمة الى تل أبيب وجمع التبرعات لاسرائيل والضغط على الكونجرس لارسال السلاح .

وتؤمن هذه الجماعة بأننا نعيش فى آخر الزمان فى أيام عودة

المسيح .

ولكن المسيح لن يعود فى نظرها الا إذا قامت اسرائيل الكبرى وحطم اليهود المسجد الأقصى ، ودمروا قبة الصخرة وبنوا الهيكل وهدموا المعالم الاسلامية فى القدس مما يؤدى الى استنفار الاسلاميين الى دخول معركة كبرى بشرت بها التوراة يسمونها معركة هرمجدون . . وهى حرب ذرية تفجر فيها اسرائيل مخزونها من الرؤوس النووية ويسيل الدم أنهارا ، وحينذاك ينزل المسيح من السماء على الهيكل ليكون الرحمة التى تأتى بعد الابادة . . ويدخل من بقى من اليهود فى المسيحية ويحكم المسيح ألف عام ويخيم السلام على العالم وتنتهى الحروب الى غير رجعة .

أما اليهود فيعتقدون أن المسيح الذى سينزل على الهيكل من السماء لن يكون المسيح العائد . . وانما هو الملك الذى وعدوا به والذى سوف يقودهم الى النصر على كل أمم العالم ، والذى سوف يذل جميع الأمم التى أذلتهم . . وهو مسيحهم الحقيقى الذى يأتى لأول مرة .

ولكن الخلاف على المسيح الآتى بين الأصوليين الانجيليين والأصوليين اليهود لا يشكل عقبة ولا يمنع تلاقيهم على الهدف الواحد . . فما دام المسيح لن ينزل من السماء إلا إذا قامت اسرائيل الكبرى . . فلتقم اسرائيل الكبرى وليتدفق السلاح من كل مكان وليتدفق الدعم المادى والمعنوى والدولارات واليورانيوم المخصب لتصنيع القنابل الهيدروچينية ، وليقف الأربعون مليونا من الانجيليين وراء اسرائيل يساندونها فى كل شر ترتكبه . . ويهللون لغزو لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا وقتل أطفال الحجارة ونسف بيوت الفلسطينيين وضرب المفاعل العراقى . . فهذه خطوات لابد منها لتقوم اسرائيل الكبرى وينزل المسيح من السماء .

بل ان هؤلاء الانجيليين يتعجلون الدمار ويدفعون اليهود الى

عدوان أكبر وأكبر لأنهم يتعجلون رؤية المسيح ينزل من السماء فى حياتهم ليأخذوا بركته ويضمنوا الجنة الأبدية

والكاتب هول لندسى هو أحد كتابهم يؤلف هذه الملحمة ويسميها .. نهاية أعظم كرة أرضية .. فبيع من كتابه ١٨ مليون نسخة .

وهم ينظرون الى المذابح والمجازر ، ثم الى المحرقة النووية التى ستشعلها اسرائيل .. والتى ستتضاءل أمامها المحرقة النازية فلا يهتز لهم طرف ولا يسمون هذا العدوان جريمة ، بل يسمونه خطة الله المباركة ليأتى بابنه الوحيد الى القدس .. ويقولون إن الله هو الذى سيهدم بيده المسجد الأقصى ويدمر قبة الصخرة ، وإن لم يفعلها اليهود فسوف يفعلها الله بزلزال أوخسف أرضى .

ويقول هول لندسى فى كتابه : أن من تعداد اليهود الذى يبلغ ١٤ مليونا ، لن يبقى حيا بعد معركة هرمجدون إلا ١٤٤٠٠٠ يهودى يخفيهم الله ويحرسهم على عينه ليكونوا نواة شعبه المختار فى الأجيال الباقية !! .

ويقول أن المدن الكبرى كلندن وباريس وروما والقاهرة وطوكيو وموسكو ونيويورك وشيكاجو وسان فرانسيسكو لن يصبح لها وجود بعد معركة هرمجدون وأن البشرية ستعود الى ركوب البغال والشرب من الآبار والسهر على ضوء المسارج .. وسوف تندثر الصناعات وتدمر الاختراعات ويعود الانسان الى فطرته الأولى وبداوته .

ولا أفهم كيف يتعجل جماعة الأصوليين الانجيليين هذا الخراب .. وكيف يساعدون اسرائيل بكل هذه الهمة ويدفعونها بكل ما يملكون من دعم مادى ومعنوى .

أما هم فعندهم الجواب الفورى .

لنرى ملك الملوك .. ابن الله الحبيب .. وهو ينزل من السماء على القدس الطاهرة .. وهم يقولون فى كل اجتماع وفى كل

منتدى حافل :

صلوا لله وأرسلوا الذخيرة .

وقدبلغ عدد بعثاتهم التبشيرية الى خارج أمريكا أربعين ألف بعثة ، ولا يمكن مناقشة عقائدهم بالعقل . . فالمسألة من أولها لآخرها لا تخضع لعقل ولا لمنطق . . بل ان حق اليهود أنفسهم فى وطنهم اسرائيل لا منطق فيه ، وإلا لأصبح للمغاربة الذين استوطنوا أسبانيا لمدة سبعمائة عام حق تاريخى فى امتلاكها وطرد الأسبان . . ولأصبح للهنود الحمر الحق فى طرد الأمريكيين البيض من أمريكا .

بل ان اسرائيل الحالية ليست اسرائيل التوراة . . ولا يمكن لأحد أن يدعى أن الحبشى الفلاشا الزنجى واليهودى الاشكنازى الأبيض واليهودى اليمنى هم عرق واحد وعنصر واحد .

والخطاب فى التوراة يتوجه الى عصر التوراة والى قوم موسى والى الجغرافيا القائمة فى عصر موسى . . ولا يتوجه الى عصرنا والى جغرافيتنا . . وهرمجدون ليست مجيدو التى تقع قرب الأردن كما يدعون .

ولكنك لا تستطيع مناقشة هؤلاء الأصوليين الانجيليين بالعقل . . لأنهم يردون على الفور . . بأنه كلام الله . . وكلام الله يؤخذ بحروفه ولا يناقش .

وقد استطاعوا أن يقنعوا الخزانة الأمريكية بهذا الكلام . . وأن يجعلوها تقدم دعما يوميا لإسرائيل يصل فى معدله إلى ١٤ مليون دولار يوميا . . هبات أسلحة لا ترد . . يأخذونها من جيب المواطن الأمريكى دافع الضرائب . . لأن الله يريد هذا . . والله لن يحب أمريكا إلا إذا أحبت أمريكا اليهود !! .

ولكن المضحك بعد هذا كله أن تيودور هرتزل الذى أنشأ إسرائيل لم يكن يؤمن بالله . . وكان علمانيا . . وكذلك كل زعماء

إسرائيل وقادتها . . لا يؤمنون بالله وليسوا متدينين . . وإنما يستعملون الدين ليصلوا إلى السيادة وإلى حلمهم الأزلى بالسيطرة على العالم .

•والمؤرخ توينبى قال عن الصهيونية. انها وثنية صرفة

وقال بروزونسكى . . ان الصهيونية حركة سياسية توسعية استعمارية لا غير . .

وكان نتيجة هذا الدعم الأمريكى أن أصبحت إسرائيل تملك من الدبابات أكثر مما تملك فرنسا وألمانيا ، كما أنها تملك ثالث أكبر سلاح جوى فى العالم . . وكان من نتيجته أن تحولت عصابة شترن الإرهابية إلى ملك عضوض . . وأصبحت القدس قبلة الألف مليون مسيحى والألف مليون مسلم رهينة فى قبضة ثلاثة ملايين يهودى لا يريدون للعالم إلا الخراب .

وجميع محاولات التخريب للمسجد الأقصى لم تتعرض للإدانة من جانب الحكومة الإسرائيلية . . على العكس تحول فاعلوها إلى أبطال شعبيين ينفذون إرادة الله .

ولكن يبقى أمل واحد هى أن جماعة الأصوليين الإنجليين وتعدادها أربعين مليونا ليست هى كل نصارى أمريكا . . فما زال هناك مائتا مليون مسيحى عاقل لا يوافق على هذا الهراء ولا يؤيد هذا التطرف بل يقف ضده . . ومن هؤلاء جريس هالسل صاحبة كتاب السياسة والنبوءة . . التى عرضت المشكلة وقالت هذا الكلام الذى ذكرناه .

ويبقى بعد ذلك رأى الكنيسة عندنا . . ورأى الأنبا شنودة فى هذه الجماعة المسيحية المتطرفة .

أما نحن فنقول : إن هذا أول نبى ينزل على الدنيا ببشرى خراب ويردها إلى الوراء ألف عام لتعود إلى ركوب البغال . . وأنه أول نبى يأتى بآية سلبية وشعار سلبى معلن هو . . الخراب الكامل فى مقابل

نزول المسيح .. وإلا فلن ينزل عليكم مسيح ..

ولا يمكن أن يكون هذا النازل على الهيكل مسيحا .. ولا يمكن أن يكون سوى ملكهم الدجال الذى يأتى ليغرق العالم فى الفساد .

أما هذه الحمى الأصولية التى تجتاح أمريكا .. فإن مروجيها لا يمكن أن يكونوا مسيحيين .. بل هم كما قالت المؤلفة جريس هالسل جماعة من المأجورين (وقد ذكرت بالتفصيل المبالغ والرشاوى التى يقبضونها من إسرائيل والنسبة التى يأخذونها على كل سائح يدخل تل أبيب) .

انها مكيدة اعلامية وإفساد شامل وجريمة تاريخية تتورط فيها زعامات أمريكية .. ومؤامرة تدبر لنا بليل ونحن نيام .

فمتى نتثاءب من رقادنا الطويل ونصحو ؟ !! .

ومستقبلنا مع المرأة

السيدة زليمة منعم السيدة الأولى فى الأرجنتين نموذج عجيب من الزوجات .

ان ما فعلته بزوجها وهو فى كرسى الرياسة لم تفعله بلطجية محترفة فى بولاق .

الشجار الذى كان يحدث عادة فى المطبخ او فى غرفة النوم .. باشرته السيدة عيانا بيانا فى الشارع السياسى ، وعلى اغلفة الصحف ، ومن منابر المعارضة .. وما كان يجرى همسا وعلى استحياء بدءا بالعتاب وانتهاء بالمقشات .. قد باشرته الست على ملأ .

ولما أعيت الزوج الحيل لجأ الى البوليس واستنجد بالحراس لطردها من القصر . .

ثم استنجد بالكنيسة واستغاث بالقساوسة ليجدوا حلا أو مخرجا فى أناجيل متى وبولس يسمح له بالطلاق .

نهاية فريدة لأسرة حاكمة .

بالأمس كان ملوك انجلترا يرسلون بزوجاتهم الى المقصلة لمجرد الرغبة فى التبديل .

واليوم يستغيث الحاكم ببوليس النجدة ليفر بجلده . .

وغدا ربما تطرد السيدة الأولى زوجها من مقعد الحكم وتجلس مكانه . . وربما طلبته فى الطاعة .

مســاواة . . !!

ولا أظن أن هذا أمر جديد . . بل هو قديم قدم التاريخ . . ولكننا تعودنا أن نستمد معلوماتنا عن المرأة من الشعر . . والشعر كذاب . . بل هو بلا شك أكذب الكلام . . خاصة حينما يتكلم عن المرأة فيصفها بأنها هشة ناحلة متهافتة تذوب كفتافيت السكر ، ضعيفة عاطفية تعيش فى الخيال ذات أجنحة تطير فى عالم الخيال ولا تعرف أرض الواقع .

وليس هناك أكذب من هذه الأوصاف . . وأغلب الظن أن الشعراء كانوا يصفون أنفسهم بعد الكأس العاشرة ويصفون تخيلاتهم وهى تشطح بهم الى حيث يصنعون لأنفسهم حوريات على هواهم .

والمرأة لم تكن قط هشة ، ولم تكن تذوب وهى تتكلم ، بل كانت تذيب القلوب من حولها ، ولم تكن خيالية تطير مجنحة فوق أرض الواقع . . بل كانت دائما عملية واقعية عقلانية تحسب حسابا لكل شىء ، وتزن كل رجل أمامها بميزان جيبه ومركزه ومدى الضمان والأمان اللذين ستنعم بهما الى جواره . . وكانت ترى هذه الأشياء حينما تنظر فى وجهه وتسمع رنينها حينما تصغى الى

نبراته . . وحينما كان يقول لها يا حبيبتى كانت تسأل أذنيها الى أى مدى سوف يكون هذا الرجل أبا صالحا وربا لأسرة .

ولم تكن المرأة ضعيفة قط . . من أيام حتشبسوت وبلقيس وشجرة الدر لأيام تاتشر وأميلدا ماركوس .

وتاريخنا يقول لنا فى علم الحيوان والبيولوجى إن الأنثى كانت دائما أقوى من الذكر وأكثر تحملا وأطول عمرا . .

وملكات النحل كن ينجبن الذكور للموت . . وكل حظ الذكر فرصة لقاح واحدة فى سباق طيران مع ألوف الذكور خلف الملكة الأقوى جسدا والأطول أجنحة . . وكان الذكور يتساقطون موتى من الاجهاد الواحد بعد الآخر لا يفوز بها الا أقواهم فيلقحها ثم يموت هو الآخر ، فإذا بقى من الذكور أحياء تكفلت الشغالة فى الخلية بقتلهم .

وتعود الملكة من هذا السباق المهلك تحمل فى جسمها حصالة بها من الحيوانات المنوية ما يكفيها لتنفق على تلقيح بيضها بقية عمرها دون أن تحتاج الى ذكر .

أما أنثى العنكبوت التى سماها علماء الحيوان بالأرملة السوداء . . فقد كانت دائما أرملة لأنها لم تكن تعطى الذكر المحظوظ إلا فرصة لقاء واحد يتيمة تشيعه بعدها الى مقره الأخير .

ثم تعاقبت ممالك عرفت الحب والوفاء مثل الطيور . . ولكن الأنثى ظلت فى عشها هى الأقوى وهى صاحبة الأمر وهى التى تحفظ النوع والسلالة .

وظلت الأنثى بطول التاريخ هى السيدة فى مملكتها . . وهى الأقوى بدنا والأكثر تحملا والأطول عمرا . . ولم يشذ الجنس البشرى عن القاعدة .

وإذا كان الرجل قد انفرد بالحكم فى مرحلة من التاريخ . . فقد

كانت المرأة تحكم من خلفه .. وقد كان ماوتسى تونج جبارا وكذلك كان تيتو . . فلما مات الاثنان ظهر أن أرملة الأول كانت أكبر مركز قوة فى الصين ، وكانت رئيسة عصابة الأربعة ، وكانت وراء حوادث الاعتقال والسجن والاعدام للألوف . . أما أرملةالثانى فقد ظهر أنها كانت تدبر لعمل انقلاب .

لا أقول هذا الكلام هجوما على المرأة . . بل أقوله ردا لاعتبارها التاريخى ولأجدد الاعتراف بأنها كانت دائما الأقوى والأقدر . . وأن ما نرى حولنا الآن من قوة المرأة ليس ظاهرة عابرة . . بل حقيقة تاريخية أنسانا إياها هلافيت الشعراء الذين يبدأون الغناء بعد الكأس العاشرة ويغرقون فى فتافيت السكر .

والمسلسل الجديد « نساء فى الحكم » مستمر .

من بعد أنديرا غاندى وباندرانيكا وتاتشر . . جاءت كورازون اكينو ثم بنازير بوتو ، ثم أخيرا دونا فيوليتا دى شامورو .

وكان وراء كل امرأة رجل قتيل .

خرجت أنديرا غاندى من عباءة غاندى المقتول ومن مدرسة نهرو .

وخرجت كورازون أكينو من عباءة زوجها القتيل أكينو .

وخرجت بنازير بوتو من عباءة أبيها عبد الغفار على بوتو الذى حكم عليه بالاعدام .

وخرجت دونا فيوليتا من عباءة زوجها القتيل دى شامورو .

وكأنما جاء انتخاب كل منهن اعتذارا سياسيا لما جرى للزوج أو الأب أو الزعيم ، دون اعتبار للكفاءة السياسية واللياقة المنتظرة للمنصب ، فإحداهما سجينة كرسى بعجلات . . والأخرى « أكينو » يقولون الآن أنها غرقت فى شبر ميه وأحاطت بها الانقلابات وأنها دون المسئولية التى تصدت لها .

ولا شك أن الفكرة السائدة بأن المرأة تستطيع أن تفعل أى شيء ويمكنها أن تصلح لكل عمل وتناطح الرجل فى أى ميدان وتسابقه فى أى تخصص هى فكرة خاطئة .

والكلام العلمى والموضوعى أنه لا يستوى رجل برجل ، ولا امرأة بامرأة ، فكيف يستوى جنسان مختلفان رجل وامرأة .

ولا أريد بهذا أن أتحيز لجنس . . بل أقول العكس . . إن المرأة أحيانا تفوق الرجل فى عمله . . ولكنها لا يمكن أن تسابقه فى أى عمل ، ولا أن تناطحه فى أى تخصص على الاطلاق .

أنا ضد الاطلاق . .

لكل امرأة مجالات إذا اختارتها تتفوق فيها . . ولكن ليس كل مجال ، ولا أى مجال . وكذلك الرجل ليس سيدا لجميع الحيل ولا بطلا لكل الألعاب .

وستظل هناك ميادين لا تصلح لهذا أو تلك .

وليست كل امرأة مسز تاتشر ، ولا كل رجل نابليون .

ومجرد أن الزوج قتل ، لا يكفى لأن ترث الزوجة منصبه .

وكم من رجل خامل لا يصلح إلا للكنس والرش وتقديم الشاى .

وكم من امرأة لا تصلح إلا للمطبخ .

ولا يحط هذا من شأن أى من الاثنين .

وقيمة الانسان ونجاحه أن يكون فى مكانه اللائق ، وأن يكون نفسه دون أن يمثل ، ودون أن يلبس ثوبا غير ثوبه ، أو يدعى دورا لا يتقنه .

وهناك من ولدوا ليكونوا ملوكا .

وهناك من ولدوا صعاليك .

ولا يوجد أكذب من امرأة تدعى أنها تصلح لأى شيء .

والمرأة فى البيت ليست شيئا هينا ، فهى تستطيع أن تفعل أشياء أقيم بكثير من الخطب والبيانات والتصريحات الكاذبة التى تخرج من رئاسة الوزراء .

وهى تستطيع بمجهود قليل أن تنجب رئيس جمهورية .

انها شىء خطير حتى لو لازمت غرفة النوم لا تبرحها .

ومستقبلنا معها مهدد تماما .

وأنا أخشى على نفسى بعد هذا المقال .

ومستقبل العلم

عمر الانسان على الأرض أكثر من مليون سنة .. ربما عشرة ملايين من السنين .. وآثاره ومخلفاته فى الكهوف تدل على أنه اكتشف النار وطهى طعامه وأشعل سراجه منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة .

وكانت النار أول مفتاح عرفه من مفاتيح الطاقة .

اكتشفها مصادفة من انقداح الشرر حينما كان يضرب الحصى ببعضه البعض . ثم مرت أكثر من ٢٠ ألف سنة أخرى ، ثم عرف الكتابة بالقلم ، والتقويم الشمسى وتعاقب الفصول ورصد النجوم والزراعة .. وبدأ الاستقرار وبدأت الحضارة .

ثم ألوف أخرى من السنين واكتشف صناعة الورق والبوصلة والملاحة ثم اخترع العجلة والعربة الحربية والبارود .

ثم ألوف أخرى من السنين واكتشف البترول والبخار .
ثم بضع مئات من السنين واكتشف الكهرباء .
ثم بضع عشرات من السنين واكتشف الذرة والطاقة الذرية والالكترون . . واللاسلكى . . والراديو .
ثم أسرعت عجلة التطور وأصبح التقدم العلمى يقفز من سنة لأخرى . . الليزر . . التليفزيون . . الكومبيوتر . . الهندسة الوراثية . . الأقمار الصناعية . . محطات الفضاء . . السفن الفضائية . . السفر الى القمر والمريخ والزهرة والمشترى وزحل وأورانوس . . ثم الخروج من المجموعة الشمسية الى أعماق الكون . .
لوحة مفاتيح الطاقة أصبحت تحتوى على أكثر من مفتاح . . وأكثر من بديل .
النار . . والفحم . . والبترول . . والبخار . . والكهرباء . . والذرة . . والليزر . . والميكرويف . . والطاقة الشمسية . . وحرارة باطن الأرض . . وطاقة أمواج البحر . . والطاقة الكيميائية .
ثم أصبح كل شهر يحمل مفاجأة . .
ثم كل أسبوع .
ثم كل يوم . .
وتعددت مجالات الاختراع .
واتسعت آفاق الاكتشاف .
وتسارعت خطوات العلم . . وتحولت الى ايقاع لاهث مهرول وتطلعت العقول الى أكبر طاقة . . الطاقة التى تمسك النجوم فى أفلاكها وتدفع بالكواكب فى مداراتها فى تسارع مذهل .
إن أى قمر صناعى يلقى به الى الفضاء يدور حول الأرض بسرعة أربعين ألفا الى ستين ألف ميل فى الساعة بدون أى نوع من الوقود وبدون أى نوع من المحركات وبدون أى دفع نفاث أو غير نفاث .

الطاقة التى تدفعه هى طاقة الجذب الكونى بين الأجسام (GRAVITY FIELD ENERGY) .

ثلاث دول عاكفة الآن على تسخير هذه الطاقة .. هى أمريكا وروسيا واسرائيل .

أقوى وأرخص طاقة فى الكون .. من يسبق الى امتلاكها .. سوف تكون له السيادة فى هذا العصر .

هذه الطاقة هى التى تحرك الأطباق الطائرة .. إذا صدق أنها حقيقة وأنها تأتى الينا من أطراف بعيدة مسكونة من الكون .

ومن يمتلكها سوف يستطيع الفرار من قبضة الأرض ليتجول حرا فى أرجاء الكون بسرعات لا تخطر على بال أحد .. وبدون وقود ..

أما الجبهة الثانية من جبهات العلم التى سوف تحمل أكبر المفاجآت فهى الهندسة الوراثية .

وإذا قدر لعقل أن يفض شفرة الجينات ويكشف سر تواليفها فسيكون بإمكانه استنباط مخلوقات جديدة فى عالم النبات والحيوان والانسان ، وسوف يتحكم فى السلالات وفى أشكالها وأوصافها .

وهو طموح بعيد وغير محتمل .. لأن الجينات الموجودة فى خلية واحدة لكائن واحد تحتاج لعشرات السنين لحصرها وكشف أسرارها وعلاقاتها بافتراض اتاحة كل امكانيات السوبر كومبيوتر والحاسبات الالكترونية الموجودة .

وما يحدث الآن هو مجرد التجريب والعبث واللعب والتشريح العشوائى لهذه الجينات .

ومع ذلك فقد استطعنا من خلال هذا التجريب تسخير الميكروبات الدنيئة لصناعة الأنسولين .. واستطعنا تخليق سلالات جديدة من النباتات والثمار والحبوب .. تقاوم الأمراض والجفاف وتنمو فى غير بيئاتها وتتحمل الملوحة العالية .. وهناك الجديد كل يوم فى الطريق .. وهذا النجاح أطلق غرور العلماء .. وأثار

خيالهم . .

وهم يحاولون الآن تخليق العبقرية فى أنبوبة اختبار . . وصناعة بيتهوفن من بويضة مخصبة بتلقيح صناعى . . وتركيب اينشتين تحت الميكرسكوب .

ولن يخرج من الأنبوبة اينشتين ولكن فرنكشتين .

ولن يخرج من البويضة المخصبة بيتهوفن وانما المسيخ الدجال .

ومن يدرى ربما خرجت سلالة ابليسية . . أو مخلوقات أسوأ من يأجوج ومأجوج . . أو مسوخ ومردة لا يعلم بها إلا الله .

ونجاح العلماء فى تعديل سلالة خلية بكتيرية أو ثمرة بسلة . . لا يعنى صناعة شكسبير فى أنبوبة اختبار . . فبين خلية البكتيريا وخلية شكسبير ثلاثة آلاف مليون سنة فى سلم التطور . . وهى مسافة زمنية لا يمكن اختصارها الى ثلاث دقائق .

ولكن العلم لا يعرف مستحيلا .

والعلماء فى عصرنا المادى لا يعرفون الها ولا حدودا أخلاقية للبحث والتجريب . . ويرون فى أنفسهم أنصاف آلهه . . والسباق الأنانى بين الدول قد أصاب الكل بالدوار . . وكل شىء أصبح جائزا وممكنا ومباحا .

وموازيا لتلك الرحلة السريعة الايقاع فى عالم الآفاق . . هناك رحلة أخرى أخطر وأعجب فى داخل النفس البشرية يقوم بها علماء من نوع آخر هم علماء الباراسيكولوجى .

ومنذ أن اكتشف الطبيب النمسوى فرانز أنطون مسمر التنويم المغنطيسى منذ مائتين وأربعين عاما . . وهناك جيل جديد من علماء الباراسيكولوجى هاكفون على البحث والتجريب فى أعماق النفس وقواها الغامضة .

ظواهر نفسية مثل . . الحسد والتخاطر والجلاء البصرى والجلاء السمعى وأحلام التنبؤ واستشعار الخطر والقدرة على هزيمة المرض

بالارادة . . كل تلك الظواهر وغيرها كانت محل دراسة وتجريب وبحوث .

وحاليا هناك سباق بين مخابرات روسيا ومخابرات أمريكا على تجارب القتل النفسى عن بعد عن طريق التركيز وارسال شحن نفسية شريرة عدوانية للضحية المطلوب ايذاؤها .

وهو احياء للسحر الأسود المعروف فى افريقيا باسم الفودو .

هذه الرصاصة النفسية .

أو القنبلة العقلية .

هى آخر ما يجرى فى الخفاء من أسرار البحوث النفسية .

وهى علوم لن تكون لها ثمرة الا الشر المطلق ، ولن تنجب الا شياطين وسحرة . . ومردة جدد يقتلون بعضهم بعضا بأسلحة غير منظورة .

وما تفعله العين الحاسدة تلقائيا هو نوع من هذه الشرور .

أما صناعة الحسد فى المعمل وتربية الارادة الشريرة وترويضها واستخدامها فهو شر أسوأ .

وان أفلح هؤلاء العلماء فى ترويض تلك المواهب المرذولة واستخدامها . . فستكون البداية لعصر جديد من الجرائم الخفية والكاملة التى لا يمكن لأى شرطة ضبطها . . وبداية لسلالة بشرية أشبه بسلالة الجن والأبالسة تتخصص فى الشر والأذى والجريمة الخالصة .

ولا أحسب أن الله يفتح لهم فى هذا الباب الا إذا كانت القيامة على الأبواب .

والى جوار هؤلاء الغلماء ، هناك علماء آخرون أفضل يبحثون فى مسائل الشفاء بالارادة وهزيمة الأمراض المستعصية كالسرطان بإيقاظ قوى الحياة فى النفس عن طريق الابتهال والعبادة والدعاء .

والبعض يستخدم علوم اليوجا والثيوصوفى والتأمل والاسترخاء والتركيز وجمع الهمة .

والمستقبل يحمل جنين كل هذه الامكانات بخيرها وشرها .
والغد يحمل لنا كل تلك الأهوال . . وكل تلك البشائر .
ولا نعلم أيها سوف يسبق الآخر .
ولكنها جميعا فى الطريق .
وفى العشر السنوات القادمة سوف تشهد البشرية ما لم تشهده فى كل تاريخها القديم والحديث .
وسوف يحمل لنا التلكس أخبار الاختراعات والكشوف كل ساعة زمان ولا نعلم من سيسبق . . أخبار السياسة والحروب ، أم أخبار العلوم والكشوف ؟. وأى علوم ستسبق . . علوم الخير أم علوم الشر ؟!.
وأظن أن الله سيعاملنا بنياتنا وقلوبنا .
وحسب ما نضمر سنكون .
ولن يظلمنا ربنا وانما كالعادة نحن الذين سوف نظلم أنفسنا .
والعلم سلاح محايد . . انه كالسكين يمكن أن تقشر بها تفاحة لتقدمها لصاحبك . . أو تقطع بها رقبته .
والأمر يتوقف على نصيبك من الحكمة والأخلاق والدين .
وأدعو الله . . أن تتغلب الحكمة .

الخروج من مستنقع الاشتراكية

مات الفكر الماركسى بالسكتة فى ساعة زمان ودون أن تطلق رصاصة تحية لجثته لمجرد أن الشعوب سمح لها بالكلام .. ولم تكن البورجوازية هى التى لعنت ماركس هذه المرة .. بل العمال والفلاحون والبروليتاريا والكادحون فى المناجم .. والطبقات المطحونة التى زعمت الماركسية انها جاءت لنجدتها .

ظهرت الحقيقة وبرح الخفاء ولم يعد هناك ما يدعو لأن نستمر فى الكذب وفى التستر على الأخطاء .. فلم تكن الاشتراكية

العلمية إلا المحضن الخبيث الذى خرجت منه هذه السلالة من السفاحين من لينين الى ستالين الى بريا ، الى عملاء قتلة أمثال هونيكر وجيفكوف وميلوش ياكشي وتشاوشيسكو الذين حولوا أوروبا الشرقية الى زنزانة وسجن وساحة إرهاب وميدان للرعب تقطع فيه الألسن وتقصف الأقلام . .

ولم تكن الاشتراكية العلمية اشتراكية ولم تكن علمية ، وانما كانت تلفيقا فلسفيا ومكرا يهوديا صنعه ماركس وجر به العالم الى حمامات دم ، والى صراعات رهيبة بين يمين ويسار استنزفت طاقات الشباب ، وضيعت أمما ، ودمرت اقتصاديات ، وألقت بشعوب في شباك عنكبوتية من الأكاذيب .

وظلت الأكاذيب تتناسل وتتوالد تحت حراسة حديدية من قوة السلاح ، وفى رعاية قبضة فولاذية من القوة المطلقة لا تتراخى . . حتى آذن الليل بانتهاء ، ورفع جورباتشوف قبضته وسمح بالكلام والمكاشفة والمصارحة (جلاسنوست) فإذا به يفاجأ بشعوب تنتفض من سبات لتلعن الملة الاشتراكية ، ولتثور على سدنتها ، ولترفض أحزابها ولترفس زعماءها ولتطرد سفاحيها . .

وإذا به يفاجأ بزعماء الأمس يفرون كالجرذان المذعورة من وجه شعوب تطاردها بالمظاهرات والهتافات واللعنات . . والذى عاند منهم وكابر أعدمه شعبه رميا بالرصاص .

وقد آن الوقت لمثقفين عرب كرسوا أنفسهم لخدمة هذا الفكر الفاسد أن يراجعوا أنفسهم وهم يرون أمامهم التاريخ فى أوروبا يصنع من جديد على نهج مضاد لما كانوا يروجون من آراء وتنبؤات خابت جميعها . . وكذبها الواقع . .

وفى بلادنا حان الوقت لنصلح ما أفسده الاقتصاد الشمولى فى هيكل انتاجنا المتداعى . . وما صنعه التأميم والقطاع العام والأداء

الفاشل للشركات الخاسرة . . ولما تفعله مجانية شاملة لعشرة ملايين طالب من الحضانة الى الجامعة . . بدون ميزانية . . ولمجرد الفشر . . بأننا نعلم الفقير والمعدم مجانا . . ولا مجانية هناك ولا تعليم ولا تربية . . وإنما إهدار واستنزاف بلا عائد سوى الخلل الذى أدى الى هجرة الفلاحين من الريف الى المدينة حيث المدارس والجامعات ليصبحوا جميعا وزراء وبكوات ومهندسين وأطباء ومحامين . .

واختلت البنية الاجتماعية . . (وهل يمكن تصور جيش كله جنرالات) . . وتوقفت الزراعة فى الريف ونزل الفلاحون لشراء الخبز والزبد والبيض والدجاج من المدينة ، ومدت المدينة يدها لتستورد القمح والدجاج والبيض من هولندا . . وأنا وزير وأخويا أمير وابن عمى مدير مين حايسوق الحمير . . ومن يجمع زبالة القاهرة . . لا يبقى إلا أن نعهد الى شركة سويسرية لتقوم بنظافة شوارعنا . . والنتيجة قذارة متراكمة فى كل مكان . . ولا أيدى تنظف . . والخمسون مليونا يريدون جميعهم أن يكونوا وزراء وخريجى جامعات . .

ويؤدى الخلل فى البنية الاجتماعية الى مزيد من الخلل ومزيد من التدهور فى الخدمات . .

والدواوين مزدحمة بملايين من الموظفين لا يجدون كراسى ولا مكاتب ولا يعملون . . بطالة مقنعة تضاف اليها بطالةأخرى معلنة عبارة عن ألوف من الخريجين تقذف بهم الجامعات الى حيث لا توجد أشغال ولا خطط ولا مشروعات تستوعبهم .

ولا يجد هذا الطابور الطويل من البطالة إلا شارع المخدرات وأزقة الارهاب وخلايا التطرف . . وتتراكم الفاتورة . . فاتورة الأخطاء . . أخطاء القرارات الاشتراكية التى أعلنت فى الستينات

وألقت بالبلاد فى مستنقع من المتناقضات والصراعات والعقم الاقتصادى والتدهور الانتاجى . .

ولا أحد يواجه الكارثة . .

ويقف فى مجلس الشعب من يطالب بانشاء جامعة أهلية بمصروفات . . فنجد من يرد عليه من داخل المجلس قائلا . . أهى عودة الى عصر الذوات . .

وينسى صاحبنا أننا أعطينا لأمريكا هذا الحق الذى نحرم أنفسنا منه ، فسمحنا لها بإنشاء جامعة أمريكية مصروفاتها للطالب الواحد ألوف الدولارات . .

ويطرح مشروع قانون بمصادرة أموال تجار المخدرات فنسمع صوتا فى المجلس . . يقول . . وما ذنب الأولاد القصر فيما فعله أبوهم . .

أبوهم الذى قتل اثنين مليون شاب وألقى بهم على الأرصفة والذى جمع ثروته من هذا القتل الأثيم . . نسمع من داخل المجلس من يدافع عن هذه الثروة . . ويذوب إشفاقا من حرمان الأولاد القصر منها . .

واثنان وثلاثون حكما بالإعدام تصدر فى حق تجار مخدرات ثبتت عليهم التهمة ويصادق عليها المفتى . . فلا ينفذ منها إلا حكم واحد . . فى تاجر باكستانى . .

والنتيجة هو منطق عام . . إسمه . . لا مساس . . لا مواجهة . . لا حسم . . ولا أدرى ما السبب ؟ !! .

أهو الخوف . . من عواقب المواجهة . .

ولكن الخوف له فاتورة تتراكم هى الأخرى . .

وقد عاش عبد الناصر فى الخوف من الجيش وفى الخوف من المخابرات فظل يؤجل المواجهة الحاسمة من سنة الى أخرى . .

لا مساس بهذا ولا مساس بذاك . . وظلت فاتورة الخوف تتراكم . . حتى دفعها عبد الناصر مرة واحدة فى هزيمة ٦٧ .

ولم تنفع بعد ذلك محاكمة صلاح نصر ولا اعتقال عبد الحكيم عامر . . لأن أوان الحسم كان قد فات . . وحمل عبد الناصر وحده خزى الدهر . . واقترنت الهزيمة باسمه وبسياسته الى ما بقى من التاريخ . .

ولا مساس . . لا تقدم حلا . .

وكل ما تفعله أنها تؤجل المواجهة . . وتؤدى إلى عواقب تراكمية يرتفع فيها المد وراء السد حتى يطم السيل . .

ويقول الحاكم الجالس على الكرسى . . أؤجل المشكلة لمن يأتى بعدى يحلها . . وأوفر على نفسى المصادمات .

ولكن من أدراه . . متى يأتى الطوفان ؟ ! .

ومن أدراه بأن الزمن سيعفيه ؟ ! .

ومتى أعفى الزمن أحدا قبله ؟ ! .

ولا توجد روشتة شافية ولا وصفة منجية تخلص أى صاحب مسئولية من مسئوليته ، ولا يوجد إلا حل واحد . . هو الخروج من مستنقع الاشتراكية . . بمواجهة أخطائها . . واصلاح ما أفسدته فى البنية الاجتماعية .

ودول أوروبا الشرقية تفعل هذا . .

وعلينا نحن أيضا أن نفعله . . ونحن ظروفنا أحسن . . فلسنا فى المأزق التراجيدى الذى تمر به دول أوروبا الشرقية . . لأننا قطعنا أكثر من نصف الطريق بقرارات السادات الجريئة . . ولم يبق إلا ربع الطريق . . واليسار يعيش فى خزى ووجهه بلون الأرض . . وهو لا يفتح فمه إلا بهراء . . وقد تغير اتجاه الريح . . وانتهى عصر وبدأ عصر جديد . . لابد أن يسود فيه فكر جديد ومنهج جديد .

الآن وليس غدا أو بعد غد . .
الآن نبدأ رحلة المائة يوم . . قبل أن تصبح رحلة المائة سنة . .

عن الأشـواق الاسـلامية

وصلتنى رسائل كثيرة تعلق على مقالى الأخير .. الخروج من مستنقع الاشتراكية .. وبعضها يقول لقد شخصت الداء .. ولم تصف الدواء .. لماذا لم تقل ان الاسلام هو الحل ؟ .

وانا اسالهم بدورى ..

اى إسلام يقصدون ؟ ! .

اسلام الخومينى أو اسلام حزب الله أو اسلام الريان .

وكل الفرق ترفع لافتات الاسلام . . وكل الاتجاهات تحمل بطاقات اسلامية . . وكل صنوف الارهاب تحمل مسميات اسلامية . .

خطف الرهائن وتفجير الطائرات وتلغيم السيارات يحدث تحت لافتات إسلامية . . ونشل الثروات يحدث باسم مضاربات إسلامية والقناصة على رؤوس العمارات يقتلون الأبرياء فى لبنان بشعارات إسلامية .

وكل من يملك لحية وشمروخا ويحفظ آية يريد أن يغير المجتمع بيده . . أو بالجنازير . . ليصبغه بالصبغة الإسلامية .

وفى هذه اللحظة يتبادل الاخوة من شيعة أمل وشيعة ايران اطلاق الرصاص ويقتلون بعضهم بعضا فى اقليم التفاح وهم من نفس الطائفة الشيعية وبدعاوى اسلامية .

هناك تزييف هائل للشعارات الاسلامية . . وهناك تشويه وتلطيخ للاسلام أحيانا عن جهل ، وأحيانا عن عمد . .

والانتهازيون من كل لون يطلعون ببضاعتهم المزيفة على الناس كل يوم .

لقد حولوا الاسلام الى رصاصة غادرة .

وطوعوا الأحاديث والآيات لتوافق هواهم .

ولكن الاسلام رحمة وسماحة ومكارم أخلاق . .

الاسلام وعى كونى واحتضان للقوانين والسنن الالهية ، وانسياب جميل متناغم مع القدر . . وهو دين العلم والعقل وعقيدة السلام . . وهو أبعد ما يكون عن هذه التشنجات العدوانية . . التى نراها حولنا والتى لا تعكس سوى أحقاد أصحابها .

وطريق الاسلام للتغيير الاجتماعى صريح وواضح .

فالله فى القرآن لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فالله أسند التغيير لنفسه وجعل دورنا فى هذا التغيير أن يغير كل منا ما بنفسه . . اصلاح كل واحد منا لنفسه هو البداية . . وأول الطريق . . طبق الشريعة على مملكة نفسك أولا قبل أن تحمل

العصا على غيرك .

وهو يقول لعيسى عليه السلام في الحديث القدسي :

يا عيسى عظ نفسك فإذا اتعظت فعظ الآخرين والا فاستح مني .

ويقول لمحمد عليه الصلاة والسلام في القرآن « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

ما من أحد يقدر على تأليف القلوب ولو كان هذا الواحد محمداً عليه الصلاة والسلام ومعه مال الأرض .. انما هو عمل الهي .. وفضل الهي .. ومنة الهية .

نستطيع أن نسعى الى الوحدة العربية بحسن النوايا .. ولكن الله وحده هو الذي سوف يحققها حينما نصبح أهلا لها .. بما قمنا به من إصلاح أنفسنا .

اصلاح كل منا لنفسه وحملها على شريعة الله هي المرحلة الأولى في طريق التغيير .. فهل أصلحنا من أنفسنا .. لنصبح أهلا عند الله لأن يغيرنا ؟ .

وهل ما يجري الآن في بلدنا يدل على أننا أصلحنا من أنفسنا ..

الجواب بالسلب للأسف .. فنحن أبعد ما يكون عن اصلاح أنفسنا .. والغش والكذب والحقد والطمع وخراب الذمم والنفاق والانتهازية والفسوق والانحلال ، هي الأخلاق السائدة والطباع الغالبة على الكبير والصغير .

والكلام عن زعامة تستطيع أن تغير أحوالنا في أربع وعشرين ساعة وتنشر الفضيلة بقرار وزاري .. كلام فارغ .. والكلام عن جماعة اسلامية تغيرنا بالقهر وبالقمع وبالضرب على الأيدي كلام أكثر سذاجة ..

إن الكرباج لن يصنع سوى الخوف .. والخوف لن يؤدي الى فضيلة وانما إلى العكس .. الى النفاق والمداراه ..

ودور الاسلام إذن ليس الجنازير ولا التأديب بالشماريخ . . ولكن الدعوة بالتى هى أحسن . . ونشر الأخلاق بالقدوة الحسنة والكلمة الطيبة . . وإحياء الضمائر فى الناس . . ليبدأ كل انسان رحلة تأديب نفسه واصلاح نفسه بنفسه .

لقد ظل النبى عليه الصلاة والسلام يدعو الناس بالحسنى ثلاث عشرة سنة بلا عنف وبلا حرب .

ونحن الآن فى هذه المرحلة . . مرحلة الدعوة . . واحياء ضمائر الناس . .

الى متى . . الله أعلم . . هذا يتوقف على همتنا . . وعلى صدق توجهنا . .

فإذا أصبحنا أهلا للتغيير الشامل . . فإن الله حينئذ سوف يمدنا بالأسباب وبالظروف المواتية والقيادات المستنيرة والحلفاء المخلصين والعون المادى والمدد الروحى .

ولا يستطيع شخص واحد أن يغير التاريخ . . لأن التغيير التاريخى عمل متعدد الأطراف تدخل فيه عوامل لا تحصى ولا يقدر عليه الا خالق الزمان والمكان والناس . . الله الذى بيده مقاليد كل شيء ، والذى بيده كل القلوب والارادات والعناصر . .

وإنما كل دورنا أن نصلح من أنفسنا لنصبح أهلا لهذا التغيير .

وليس فى هذا الرأى دعوة الى كسل . . لأن اصلاح النفس سوف يحتاج الى استنهاض كل الهمم وتحصيل كل الأسباب .

انه الجهاد الأكبر الذي سيحتاج منا الى العزم كل العزم ، والى العلم كل العلم ، والى العمل كل العمل . . هذا دور كل منا فى هذه المرحلة . .

وهذا هو كلام الاسلام . . والدرس المستفاد من تاريخه .

والذى يقول غير ذلك يخدع نفسه ويخدعنا .

هناك أشواق اسلامية فى كل بلد .. وهى ظاهرة حميدة وطيبة ومبشرة .. ولكن هذه الأشواق تحاول أن تقفز على الزمن وتختصر التاريخ وتحقق الدولة الاسلامية بدون أن تمر على المرحلة الأولى الضرورية وهى صناعة الفرد المسلم .. وهى عجلة لا مجدية .

ان حملة الرايات الاسلامية ليسوا على مستوى الأزمة .. وليسوا على مستوى المرحلة التاريخية التى يتصدون لها .. وهم إما رافض وإما متزمت وإما سلفى لا يرى للنصوص إلا تفسيرا واحدا ، فاذا طلعت عليه بتفسير آخر اتهمك بالكفر وأعلن عليك الحرب .. وأكثرهم فهم الأصولية على أنها غلظة وعنف وقتل للمخالفين أيا كانت القضية التى اختلف فيها .

وغسيل المخ الذى جرى للشباب فى ايران مثال قريب .. وما يفعله حزب الله كل يوم .. وما فعلته جماعات التكفير والهجرة وجماعات الناجون من النار .. والجهاد .. وغيرها .

ومثل هذه القيادات المندفعة والمتعصبة والهوجاء لا تؤتمن على سفينة الاسلام .. ولا تستطيع الملاحة فى البحار الدولية المضطربة لأنها عجزت عن أن تحكم نفسها ، فكيف تحكم أمما ومجتمعات ؟ ! .

هؤلاء ناس يجب أن يغيروا ما بأنفسهم أولا .. يجب أن يقتلعوا هذا الغل وهذا الهوى العارم للسلطة وللبطش وللتنكيل .. قبل أن يصبحوا أهلا لقيادة شىء أى شىء .

وصدق الله العظيم انه لن يغير ما بهؤلاء القوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. انها سنة إلهية وقانون من قوانين حركة التاريخ .. ولهذا أفشلهم الله وأحبط أعمالهم .

والحقبة التى نعيش فيها هى حقبة تخلف دينى وعلمى واجتماعى واقتصادى وأخلاقى .. حقبة مراهقة سياسية .. ومراهقة

اسلامية .

والمرحلة المطلوبة هى مرحلة دعوة وتربية وتحصيل علمى ونهضة للعمل واحتشاد للانتاج ومجاهدة للأخلاق الذميمة واحياء للضمائر الميتة ومحاولة لسياسة النفس أولا على قيم الاسلام .. ومن يفعل هذا يكون مسلما عظيما وسوف يساهم بفعله فى انتشال المركب من القاع .. وهذا دورنا الآن .. أن ننتشل المركب من القاع ..

ويخطىء من يسوق هذه المرحلة نحو انقلابات فجة وثورات عقيمة وفتن مضلة .

ويضر بالاسلام من يزج به فى بحار السياسة الملوثة ويدفع به الى دهاليزها المريبة وسراديبها المظلمة التى يتوه فيها الحليم .. ولن يصل الى شىء سوى الضياع فى السراديب والانخداع بالأكاذيب .

لم يأت الأوان بعد يا اخوة ..

وأمامنا ليل طويل من الامتحان .. قبل أن يؤذن الفجر .. هذا اذا رأى رب الكون أننا نضجنا وأصبحنا أهلا لأن يطلع علينا شمس عصر جديد .

لنتعاون أولا ونضع اليد على اليد لننتشل المركب من القاع ..

ولا عزاء للرفاق

الشيوعيون اليوم تائهون يبحثون فى كتب ماركس وانجلز ولينين عن تفسير لما يحدث اليوم .. وهم يطلعون علينا من وقت لآخر بشعار جديد .

والعبارة التى يتناقلونها الآن .. هى .. نحن نتطور .. نحن نغير جلدنا .

ولكن الملاحظ أنهم لا يغيرون جلدهم فقط . . فالأشياء التى تنازلوا عنها وطرحوها ليست جلد الشيوعية وإنما لبها ولبابها .

وملكية الدولة لوسائل الانتاج هى جوهرة التاج فى مذهبهم وهى منهم بمثابة القلب والنخاع . . وهى الحشوة وليست الكسوة .

وحينما تتنازل الشيوعية عن الاقتصاد الشمولى وعن ملكية الدولة لوسائل الانتاج ، وعن الحزب الواحد وعن حكم البروليتاريا وعن الصراع الطبقى ، فقد خلعت الجلد والسقط والمصارين والطحال والفشة والكبدة والكلوه والبنكرياس والشحم واللحم والعظم والهيكل والمحمل والمخبر والمظهر والجوهر وكل شيء .

وحينما تقبل الاقتصاد الحر وقوانين السوق وحكم البورصة والتعدد الحزبى ، فانها تكون قد غيرت دمها وغيرت ذمتها وفقأت عينيها وخلعت أسنانها ومزقت شعاراتها وتنكرت لمبادئها وخانت مذهبها .

وحق لها حينئذ أن تبحث لها عن اسم آخر وأب آخر غير ماركس وملة أخرى غير الشيوعية .

ان ما تبقى منها حينئذ هى سلالة رأسمالية لقيطة بلا أصل وبلا نسب .

أنقاض . . وحائط مبكى . . وبقايا جثة بلا كفن وبلا هوية .

ان ما حدث ياسادة . . هو . . حالة وفاة فجائية بعد شلل رباعى وعمى وغيبوبة والعياذ بالله .

والمرحوم مات خلسة . . ودفن سرا . . بدون برقية عزاء واحدة .

والبقية فى حياتكم . .

الاقتصادالاشتراكى رجع بدول أوروبا الشرقية مائة سنة الى الوراء ونزل بها تحت هامش الفقر . . وأصبحت دول مثل بولنده والمجر وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية دولا صناعية من الدرجة الثالثة .

وظهر عمال المناجم فى روسيا فى التليفزيون ليقولوا أن نصيبهم من الصابون قطعة واحدة للعامل فى الشهر . . وأنهم يعيشون ستة فى غرفة بلا كهرباء وبلا مصدر للماء سوى طلمبة . . وقرأنا عن طوابير طويلة تنتظر ساعات لشراء خياره أو باكو شاى .

والثورة الحالية التى تشهدها أوروبا اليوم هى ثورة على منهج اقتصادى فاسد ، وانقلاب على عصر مزيف واعلام كاذب وأحزاب شيوعية من اللصوص والمرتشين وحكام من المافيا والسفاحين والقتلة .

وقد جربنا ما صنعته القرارات الاشتراكية فى اقتصادنا فى الستينات . . وعشنا هذا العصر الذى كانت تقصف فيه الأقلام وتعتقل الألسن ويسجن ويعذب ويقتل من يفتح فمه بأى اعتراض . . وعاصرنا الاعلام الكاذب الذى كان يذيع أخبارا عن اسقاط مائة طائرة كل يوم فى حرب ٦٧ . .

ثم سقطت هذه الزعامات مع الهزيمة المنكرة التى تسببت فيها . . وجاء السادات ليخرج مصر من هذه الزنزانة وليعبر بها القنال فى حرب منتصرة . . ثم يحاول أن يجر اسرائيل الى مائدة التفاوض . . نفس ما يفعله الآن خصوم الأمس الذين اتهموه .

ولكن الاقتصاد ظل يتدهور لأن عبد الناصر ظل يحكم مصر بقراراته الاشتراكية من القبر . . وما يزال يحكمها بهذه القرارات الفاسدة الى الآن . .

وسيظل الاقتصاد يتدهور ، والديون تتراكم ، والإنتاج يتعثر ، والبيروقراطية تسود ، مادامت هذه القرارات الفاسدة تحكم اقتصادنا .

وكل ما تفعله محاولات الاصلاح لا تتجاوز تأثير مرهم خارجي أو غسول أو عملية نقاشة لعمارةمليئة بالشروخ والفوالق .

ولا مساس . . معناها أن نترك البناء يتداعى تحت ثقله وترهله حتى يبلغ نقطة اللاعودة .

ولا أحب أن نصل الى هذا الدرك .

وأقول جاء دورنا لنقتلع هذا الفساد من جذوره . . ولنقوم باصلاح هيكلي في الأسس والمنطلقات الاقتصادية . . ونبني على هيكل سليم فيؤتي البناء ثمرته .

ان القطاع العام الذي ترهل تحت ثقل التوظيف العشوائي والعمالة الغوغائية . . حتى وصل الى زحام من الكراسي حول مكتب واحد . . وأحيانا لا يجد الموظفون حتى الكراسي ليجلسوا عليها . . ثم يصرف لهؤلاء الموظفين أرباحا من الخزانة الخاسرة . . ان لم يكن هذا هزلا فما هو . . ؟!!

والجامعات التي ازدحمت مدرجاتها فأصبحت مدارس ثانوية .

والخمسون في مائة عمال وفلاحين في مجلس الشعب . . في أي دستور وفي أي عرف وفي أي بلد نرى مثيلا لهذه البدعة . . ؟!!

وأي فكر جاء بهم إلى المجلس سوى التملق الطبقي وسوى حرص عبد الناصر على ضرب الطبقات بعضها ببعض في داخل المجلس نفسه . . واستثمار هذا التناقض لصالحه . .

ولكن هذه الأفكار انتهت وهذه السياسة تعرت وانكشفت على مستوى العالم كله .

العالم يعيش عصرا جديدا . . ونحن لا نعيش بمعزل عن هذا

العالم ولا بمعزل عن تجاربه ومكتسباته .

وإذا كان هناك أذناب ومتفعون بهذا الفساد ، وإذا كان هناك قوى رجعية (من العجيب أنها تسمى نفسها تقدمية) تحاول أن تعود بالمركب الى الوراء . . فإنا نقول لهم بأسلوبهم : إن عجلة التاريخ أقوى منهم . . وأنهم أصبحوا الآن عنصرا معوقا وعامل تأخر وجمود . . وان مقتضيات التقدم نفسها ستجرفهم من طريقها مثل حميل السيل . .

أكذوبة العلمانية

التيار العلماني في مصر التقط حادثة الشباب المتهوس الذى اعتدى بالجنازير والمطاوى على الحفل الراقص بالجامعة وملأ الجرائد صراخا وعويلا ، وحاول البعض ان يجعل من الحادث الفردى المحدود قضية ثم أزمة عامة عن اضطهاد الدين للفن ، وعدوان الدين على الفن ، وانعقدت ندوات وقام خطباء يتحدثون عن محنة الفن ومستقبل الفن في مواجهة القهر ، وعن رجوعنا القهقرى الى الوراء الى العصور الوسطى المظلمة ، وخرجت مانشتات .. مثل مارشالات الرعب .. وجنرالات الحلال والحرام .

وتجاوز الهدف مجرد التعليق على خبر الى التخويف من كل ما هو إسلامى ، والى التلويح بالعصر الخومينى القادم والى الفاشية

الدينية التى تتربص بمصر الدوائر .

ولم يعد المتهم هو بضعة نفر من المراهقين ، وإنما الاسلام نفسه والتيار الاسلامى كله ثم الأزهر والمؤسسة الدينية والصحوة الدينية والبرامج الدينية ، الكل أصبح فى قفص الاتهام .

وانبرت أقلام الدعاة الأفاضل ، وطلع المشايخ بمقالاتهم يدفعون عن الاسلام التهمة ويدللون بالقرآن وبالحديث الصحيح وبالثابت فى موضوع السماع على براءة الدين من هذا التعصب . . وما كانوا بحاجة الى كل هذا . . فالشيخ صبح والشيخ على محمود وغيرهم كانوا يغنون القصائد على التخت الى عهد قريب ، وأم كلثوم تعلمت الأداء على يد الشيخ أبو العلا محمد شيخ الملحنين فى زمانه وكان جوابها لكل من يسألها عن سر نطقها السليم ونبراتها الجميلة فى الأداء . . أنه القرآن وحفظها للقرآن الكريم من الصغر .

وحرمة الموسيقى غير واردة فى تراثنا الدينى . .

والفن لم يكن ضد الدين فى أى مرحلة من مراحل التاريخ المصرى القديم والحديث . . وإنما كان توأما وشقيقا ومصاحبا له طول الوقت ، ومن خمسة آلاف سنة بنى الفنانون الأهرامات والمعابد ونقشوا جدرانها وزينوا سقوفها ، وعازفةالهارب مرسومة على جدان مقابر الملوك .

وفى العصر الاسلامى كان الفنان هو الذى بنى القباب والمآذن والمنابر والمشربيات . . والمشكاة والمكحلة وأوانى العطر والزهريات الجميلة تحكى لنا عن فن الخزف الاسلامى وابداعه ولوحات السجاد الكاشانى الفاخر وفنون الأويمه . . وكلمة العود دخلت بنصها العربى فى كل اللغات الأجنبية والموشحات الأندلسية دخلتِ فى السيمفونيات الأوروبية .

إن كل هذا التخويف من الدين تهريج .

وإذا كان الرفاق العلمانيون يريدون أن يقولوا لنا من طرف خفى . . إن ما حدث هو دليل قاطع على أن نظام الحكم العلمانى هو النظام الأمثل لمصر ولأمن مصر . . فإنى سوف أذكرهم بأن لبنان نظامها علمانى فأين حظها من الأمن والأمان والحرب الأهلية تأكلها من اثنتى عشرة سنة ولا تدع فيها حجرا على حجر ، واليمن الجنوبى ظل يعيش حربا دموية بين الاخوة الماركسيين حتى أنقذته الوحدة مع الشمال . . والحبشة يحكمها منجستو بنظام علمانى وهى تئن من الجفاف والمجاعة والحرب الأهلية والقتال الدموى بين أبناء الوطن الواحد ، وبنجالاديش يحكمها نظام علمانى وهى تعيش فى مجاعة مستمرة . . وأنجولا وموزمبيق ونيكاراجوا وكوبا . . بقية مسلسل البؤس العلمانى .

وغبار المقالات لن يحجب الحقيقة . . ان ما حدث جريمة لا تختلف عن جرائم الكلوكلوكس كلان فى أمريكا وأوروبا وهى قد اتخذت مثلها من الدين ستارا ولكنها لا تمت الى الدين بسبب . . وجذور المشكلة وأسبابها فى المجتمع نفسه وفى شكل الحياة التى أصبحنا نعيشها .

ولن يختلف معى أحد على أن الكثير من أشكال الفن الذى يعرض علينا الآن فى السينما والتليفزيون والمسرح لا يدخل تحت اسم الفن ، وانما هو اهانة للفن ، وهو يستفز المشاهد بتفاهته وهزاله . . وبعض أفلام الفيديو المصرية تكاد تدخل فى اختصاص بوليس الآداب ، وبعض الأغانى هى كباريه درجة ثالثة . . وبعض الهزليات المسرحية هى رقص مواخير . . واسفاف وتهريج وبذاءات . . يمكن أن تشطب عليها الرقابة وتمنعها الدولة ليس بسبب الدين ولكن بسبب الحياء .

مثل هذه المشاهد مع المعاناة الموجودة ومظاهر الغنى الفاحش والفقر المدقع يمكن أن تستفز شاب متهوس وتدفعه الى الجريمة .

ولم يحدث في تاريخ مصر أن تحالف عليها هذا الكم من المشاكل التى تأخذ بالخناق . . الجفاف والديون والجراد والتصحر (هجوم الصحراء على الرقعة الخضراء وردمها) والتآكل (هجوم البحر المالح على الشواطىء وغمرها) والنحر (هبوط نهر النيل بسبب نحر الماء الخفيف الخالى من الطمى للمنشآت والشط) وأزمة الطاقة(بسبب نقص الكهرباء) وأزمة الغذاء بسبب ضعف الانتاج . . والانفجار السكانى ٥٤ مليون فم يأكل ولا يعمل . . والبطالة بسبب عدم استيعاب المشروعات الموجودة للأيدى العاملة . . والدعم الذى يذهب الى البالوعة . . ومجانية التعليم التى تحولت الى اللامجانية واللاتعليم . . والارهاب والمخدرات والتطرف والفتنة الطائفية . . وفوق كل هذا انقسام الصف العربى وتنامى قوة اسرائيل وتفاقم عدوانها وتحولها الى قوة نووية وحيدة عابثة فى المنطقة . . ثم أسوأ من كل هذا . . انهيار الأخلاق وفساد الذمم وضياع القيم وتفشى الكذب والغش والتزوير والرشوة والسرقة . .

وفى مواجهة كل هذا جبهة مثقفة منقسمة بين يمين ويسار وأحزاب ومهاترات وأفكار مستوردة وجدل بيزنطى وقلة من شباب متهوس تتصور أن الحل هو الثورة والانقلاب ، وأن تخلع الجالس على الكرسى وتجلس مكانه . . ولا يوجد حل أكثر سذاجة من هذا وهو أشبه بحل أزمة المرور بالغاء الاشارات وحل مشكلة الظلم بالفوضى .

ومشكلة مصر لا يحلها استبدال شخص بشخص .

والمسألة غير هذا تماما . .

فالعيب فى المناخ العام وفى مستوى الوعى . . العيب فى الناس صغارهم وكبارهم . . العيب فى التعليم الهابط وما يفرزه من عقليات هابطة ، العيب فى النمط الاشتراكى من الحياة وما يفرزه من جشع مادى وتهالك وسلوكيات أنانية . . العيب فى روح السلبية والكسل وعدم المبالاة وعدم الانتماء . .

العيب فى ثقافة التسلية وقتل الوقت والاعلام الترفيهى ومسرح الهزل وصحافة المهاترات وأغانى الكباريه ورقص المواخير .

واليسار المصرى وقدامى الماركسيين الذى أصابهم تصلب الشرايين مازالوا واقفين عند شعاراتهم البالية يرددون نفس الموال القديم عن القطاع العام والتأميم وملكية الدولة لوسائل الانتاج ، وصرخاتهم التى تعالت وارتفعت لمجرد التفكير فى بيع فندق سان ستيفانو كشفت عن مدى التخلف العقلى الذى يعيشون فيه وكأنهم حفريات جيولوجية متحجرة لكائنات انتهى عصرها .

والظاهر أنهم لا يدركون أن الدنيا تغيرت من حولهم ، ولا يعرفون أن البرافدا حتى البرافدا أصبحت تتكلم بلغة جديدة . . وكذلك صاحبهم ميتران فى فرنسا الذى خلع ثوب الأيديولوجية اليسارية وأسقط كلمة الاشتراكية من قاموسه ودخل الانتخابات بشخصه لكى يستطيع الحصول على صوت الناخب الفرنسى الذى لم يعد يستهويه الدجل الاشتراكى .

لقد سقط اليسار يا سادة والشيوعية لم تستطع أن تحصل الا على ستة فى المائة من الأصوات فى الانتخابات الفرنسية الأخيرة . . أى أقل من نصف ما حصل عليه لوبن الذى يسمونه فى فرنسا اليمينى القذر .

يا اخوة . . أفيقوا . . لقد تغيرت الدنيا .

وحزب التجمع حينما يضع يده فى يد حزب الوفد ليضرب

الحكومة ، هو لم يضرب الحكومة ، بل ضرب نفسه بالضربة القاضية ، وأثبت أن مبادئه قابلة للبيع فى سبيل ربح تافه أوحتى مظنة ربح .

ان أكثر القيادات التى تتصدى لهذه المرحلة التاريخية من حياتنا هى للأسف دون مستوى المسئولية ودون مستوى المرحلة بكثير .

والتيار الاسلامى رغم انحراف القلة وضياعها فى الشكليات والمظهريات مازال هو الذى يملك القدرة على التنوير والتغيير ، لأنه الوحيد الذى يملك التأثير ، والوحيد الذى يملك قدرة التغيير من الباطن بايقاظ الضمائر وتحريك القلوب . وهذا هوالمطلوب بالضبط فى هذه المرحلة التاريخية .. ليس الثورة ولا الانقلاب ولا استبدال الكراسى .. وانما ايقاظ الضمائر وتحريك القلوب والنفخ فى موات القيم لتصبح النفوس غير النفوس وهذا هو الشرط الوحيد الذى شرطه علينا ربنا ليغيرنا .. أن نتغير من داخلنا .

لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

تغيير ما بالنفس هو الشرط .. وهو أمر باطنى لايقدر عليه الا تنوير دينى .. واشراق عرفانى .

أما اليسار السعيد فله أن يخطب ما شاء من الخطب ويدبج ما شاء من الكتب ، ويسود ما شاء من الصحف .. فلن يستطيع أن يفعل شيئا .. فلا أحد يقرأ له أو يستمع اليه أو يصدقه .. وقد أخذ فرصته على مدى عشرين عاما وطبق برامجه وفرض نظرياته وانتهى بنا الى هزيمة ٦٧ والى الخراب الاقتصادى الذى مازلنا نعيش فيه والى الحلقة المفرغة الموحلة التى نحاول أن نخرج منها .

واليمين البائد عشنا رحلته الطويلة القديمة حتى حريق القاهرة وشهدنا فشله ومازلنا نسمعه الى الآن يتكلم بنفس اللغة ، وقد نسى تماما أن الزمن تغير والمشاكل تغيرت والتناقضات تبدلت ،

والخريطة السياسية اختلفت ، والأكلشيهات القديمة لم تعد تنفع ، والمهاترات لم تعد تفيد .

وقد انتظرنا أن يخرج من كنانته بضاعة جديدة وأفكاراً جديدة . . فلم يخرج شيئا وعادت صحافته الى الشتم والمهاترات .

ولم يبق الا التيار الاسلامى :

والاسلام هو الحل ، ولكن ليس الاسلام الشكلى ولا التدين المظهرى ، وانما الاسلام فى حقيقته وجوهره . . اسلام العلم والعمل ومكارم الأخلاق . . اسلام الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية . . اسلام الفكر والفعل . . رحلة المليون ميل التى تبدأ بخطوة . . هذه الخطوة هى نفسك . . أن يبدأ كل واحد بنفسه .

المخدرات .. حرب حقيقية

فى كولومبيا أطلقت عصابات المخدرات النار على لويس كارلوس جالان المرشح للرياسة وقتلت رئيس البوليس رميا بالرصاص ، واغتالت اثنين من القضاة ممن عرفوا بنزاهتهم فى الأحكام فقتلتهم على الفور .. وبذلك أعلنت أنها دولة وأن لها جيشا مستعدا لأن يقتل حتى رئيس الدولة التى تعيش فى حضانته إذا خطر فى باله أن يهدد مصالحها .

وفى أمريكا تحتمى العصابات وراء أطفال أحداث يوزعون الصنف فى الشوارع بينما فوهات البنادق تطل من وراء النوافذ فى

انتظار أى شبح هجمة لتقضى عليها .

وفى بنما تعتمد الدولة نفسها على المخدرات كمصدر دخل ، وكان رئيسها نورييجا يتاجر فى الهيروين والكوكايين علنا . . ومثلها بوليفيا وبيرو .

وأمريكا اللاتينية كلها تموج بمعامل تصنيع وتخليق المخدرات .

ولهذه الدولة الجديدة من السموم البيضاء علماؤها ولها عباقرتها من الكيماويين الساهرين على ابتكار الأصناف الجديدة القاتلة كل يوم . .

وآخر صنف نزل الأسواق هو الكراك (CRAK) وهو أرخص وأسهل وأقتل وتأثيره الصاعق على المخ والجهاز العصبى يختلف عن الأصناف القديمة فى أنه لا يؤدى الى نشوة مستسلمة وإنما يؤدى الى نشوة عدوانية ويدفع المدمن الى سلوك اجرامى فورى ويحوله الى قاتل . . وهناك مناطق مغلقة فى وشنطون ونيويورك على مدمنى الكراك . . ينطلق فيها الرصاص ليل نهار ويجرى القتل جهارا بين العصابات والبوليس وبينها وبين بعضها البعض .

وفى الجانب الآخر من الكرة الأرضية نجد باكستان والهند وأفغانستان وتركيا واسرائيل وسوريا ولبنان هى مراكز نشر وباء المخدرات . . وفى باكستان ملايين الأفدنة مغلقة على زراعة الكوكا والخشخاش والماريجوانا ، وتجرى المساومات على الصفقات علنا ويعرض الصنف على الأرصفة .

وما يجرى فى عالم المخدرات هو حرب حقيقية . . وراءها سياسات ومصالح واستراتيجيات قصيرة وطويلة . . وعصابات . . وجيوش . . وتآمر من عقول شيطانية لا تنام . .

وأمريكا مستهدفة . .

وأوروبا مستهدفة . .

ومصر مستهدفة . .

ونحن هنا فى مصر فى تناولنا لمشكلة المخدرات نعيش واد آخر .

وفى الكلام الكثير الذى يكتب على المخدرات يركز الأغلبية على مسئولية الأسرة وعلى الفقر وعلى الغلاء وعلى الفراغ الثقافى وعلى الفراغ الدينى وعلى المتاعب ، الاقتصادية وهو كلام يؤدى الى تمييع القضية ويحولها الى اشكال فلسفية .

وليس صحيحا أن هذه الأسباب هى التى نشرت المخدرات فى مصر ، فهذه الأسباب قائمة وقديمة من عشرين سنة وأكثر ، ومع ذلك لم يظهر الهيروين بآثاره المدمرة الا منذ شهور . . ثم أن وضع المسئولية على شماعة الأسرة وتأجيلها الى حين علاج الاقتصاد فى مصر . . والى عودة الوعى الثقافى . . معناها أن ننتظر الى ما شاء الله .

وهل خطر الكوكايين والهيروين فى حاجة الى وعى ثقافى ؟ ! . وهل آثاره المدمرة فى حاجة الى فطنة دينية لمعرفتها ؟ ! إنها بداهات ياسادة . . و أ . ب البيت والشارع والتليفزيون ، ومن لا يقرأ الصحف ومن لا يفتح التليفزيون سوف يسمع من البوليس ومن الجيران .

والكلام المفيد . . أن هناك حالة حرب . . حرب حقيقية تحتاج الى اجراءات عاجلة واستراتيجية معركة . . وليس الى فلسفات وجدل وعلم نفس .

هناك من يعلنون الحرب على بلدنا ويحاربوننا من الخارج ومن الداخل ويستعملون أولادنا وبناتنا رهائن .

هناك ٦ مليارات من الدولارات (بالاحصاءات الرسمية من وزارة الداخلية) تنفق سنويا من خبزنا وعرقنا واقتصادنا المنهار فى شراء

صفقات الهيروين والكوكايين . . ندفع ثمنها لنقتل بها أولادنا ونقتل بها أنفسنا .

نحن نحاول بالمشقة أن نزرع شبر أرض ونحاول أن ننحت الصخر بأسناننا . . وهناك من يأخذ ثمار هذا كله ويلقى به وبنا فى حفرة المخدرات . . وكل ما نفعله أن نجتمع لنتفلسف .

هناك قنبلة موقوتة . .

وكارثة لن تنتظر .

وحرب قائمة فى كل شارع وكل بيت .

والظرف هو ظرف استنفار واحتشاد للرد على الرصاص بالرصاص .

والرأى بإجماع هو اعدام التاجر والمصادرة لأموال المهربين والمروجين .

وقد صدر القانون باعدام التاجر والمروج . . ولكننا لم نشهد اعداما لأن القضايا تخرج من تأجيل الى تأجيل الى استئناف وتتعاقب الشهور . . والشهور . . بينما التاجر فى السجن ينفق بسخاء ويشترى جميع الذمم داخل السجن ويأتيه الطعام من أفخر الفنادق . . وأكثر من ذلك يحول زنزانته الى بؤرة مخدرات ومكان مأمون لعقد الصفقات . . وفى النهاية يخرج لعدم كفاية الأدلة . . وبرغم الأحراز المضبوطة . . وأطنان الأفيون والهيروين التى بلغت حمولتها سفينة كاملة . . وذلك لأن القانون ملىء بالثغرات . . والذمم ثغراتها أكبر . . ويا خرابك يا مصر .

نحن فى حرب يا سادة .

وأنا أقول أنه لابد أن تكون المحاكمات أمام محكمة عسكرية وتحت مظلة من قانون الطوارىء لسرعة البت والحسم . . فمادام الصنف موجودا فى الشارع والمروج يستعمل ذكاءه الاجرامى

وأمواله فى دفع الصبية والمراهقين الى الكارثة فلا حل الا البتر . .
ولن تنفع قرارات على الورق . . ثم تنفيذ سلحفائى . . يتحول الى لا تنفيذ . . بينما هناك جيل كامل ينزف دمه . . ووطن ينزف اقتصاده . . وشباب ينزف عقله .

أنا أطلب نجدة .

أطلب اسعافا فوريا لا كلاما .

أطلب عملا حاسما يثبت أن للخير عضلات كما أن للشر عضلات ، وأن للنظام أنيابا كما أن للفوضى مخالب ، وأن العدل يمكن أن يسارع الى الضحية بأسرع مما يسارع الظلم .

انها معركة يا سادة .

حرب حقيقية . .

والخوف لن يحفظ للخائف حياته . . لأن السفينة حينما تغرق سوف تغرق بالكل حاكمها ومحكوميها .

ولم الخوف . . ؟!!

وهل استثنى الموت أحدا منذ بدأت على الأرض حياة . .

الشرق والغرب

المسالمة والموادعة والمصالحة هى روح الحضارة الشرقية . .

التوفيق بين المتناقضات والبحث فى أصولها المشتركة لحلها وتهدئتها وليس تفجيرها واعلان الحرب بينها . . هى سمة الروح الشرقية . . ولهذا كان الشرق مهد الأديان والنبوات والرسالات حيث يحاول بالحب . . التوفيق بين الاخوة الأعداء والمصالحة بين الأضداد واحلال المودة والسلام محل التباغض والخصام .

أما الحضارة الغربية فروحها على النقيض كانت الصدام والعنف والمواجهة واشعال الصراع واقتحام الخطر فى منتصف الطريق بدلا من محاولة تجنبه . .

ومن هنا كان تاريخ الغرب عبارة عن غزاة وفاتحين ومستعمرين من هانيبال الى الاسكندر الى نابليون الى هتلر الى موسوليني - ومستكشفين مثل ماجلان وكولومبس وأخيرا رواد فضاء مشوا على القمر . .

وكان تاريخ العلم مغامرات خطرة مثل تفجير الذرة وتحطيم النواة ونسف الجبال بحثا عن الثروات فى باطن الأرض وأخيرا تفتيت الجينات (حاملات الصفات الوراثية فى الخلية) واللعب بها فى محاولة لتصنيفها من جديد بغرض انشاء وظائف جديدة وهو ما يسمونه بالهندسة الوراثية . .

وبذلك استطاعوا أن يجعلوا البكتريا تصنع الأنسولين وخلايا طفيلية أخرى تصنع لقاحات الانفلونزا والتهاب الكبد الوبائى .

وهى روح جديرة بالاعجاب ، وهى التى أسرعت بعجلة التطور ودفعت بها الى الأمام ، ولكن هذا الاندفاع هو سلاح ذو حدين . . فهو يمكن أن يوقع الانسانية فى حفرة لا تقوم منها ، ويمكن أن يكون انتحارا خاصة إذا بدأ الفضول العلمى يلعب بالمجهولات الكبرى مثل الذرة أو بالخلية الحية وأسرارها مثل الجينات والمورثات دونما اعتبار لقيم أو اعراف خلقية .

وهم الآن يلعبون بجنين الأنابيب وبالبويضة البشرية المخصبة ويظنون أنهم يمكن أن يضيفوا اليها نتفة وراثية من هنا ونتفة وراثية من هناك فيصنعون منها شيكسبير أو بتهوفن . . وهو عبث لن ينتج الا مسوخا ومخلوقات شوهاء .

وعيب التفكير الغربى أنه يرى الانسان وحيدا منفردا فى الكون

صانعا لمصيره ولا يؤمن بقدر أو دين أو إله .. العلم هو الله الذى لا شريك له .. ولا شىء بعد ذلك .. وهم لا يتعلمون من أخطائهم .

ترسانات السلاح الذرى تكلفت مليارات .. وستتكلف مليارات أخرى للتخلص منها .. فماذا كانت جدواها ؟ ! . ولماذا كل هذا المال الضائع ؟ ! .

روسيا تقول إن كارثة تشرنوبل وحدها فى حاجة الى ١٥ مليار دولار لاصلاح ما أفسدت وما لوثت .. هذا غير ما ضاع من نفقة ومنفعة بهذا التلوث .. وما ضاع من أرواح .. وما سيضيع فى المستقبل مما لا نعلم .

الفكر الماركسى كدافع كان وراء اشعال الصراع الطبقى وصناعة الثورات والانقلابات التى ضاعفت من أعداد القتلى وضحايا الحروب .. ثم فى النهاية إذا به يتراجع كفكر فاشل ، وتتكشف أخطاؤه وثغراته ، ونرى جورباتشوف يعود الى الاقتصاد المفتوح والى الديمقراطية .

ما ذنب الذين قتلوا هباء والذين ضاعوا سدى ؟ ! .

لو أن هذا الاندفاع الحضارى الغربى أخذ شيئا من بصيرة الشرق وإيمانه .. واستعار شيئا من روح التوافق والتناغم والمصالحة بدلا من المصادمة والتفجير والانقلاب والثورة .. لما حدثت كل تلك الكوارث .

انهم يظنون أنهم يختصرون التاريخ .. ولكن ما يحدث أنهم يعطلون التاريخ ويضيعون أجيالا يسلمونها الى الموت والدمار والقتل .. ثم لا يكون نصيب الأجيال الجديدة الا الضائقة الاقتصادية والغلاء والتضخم وأزمات الاسكان والغذاء والطاقة وأمراض التلوث .

ثم إن إرادة الله نافذة بهم فى جميع الأحوال ولا يصيبهم من خير فى النهاية الا ما يريده هو .

اننا ولا شك كأمم شرقية فاشلون ومتخلفون ، لأننا لا نعرف قيمة حضارتنا ولا عظمة تراثنا .

ومصيبتنا الكبرى .. أننا فى حضيض شعورنا بالنقص .. اندفعنا اليهم نقلدهم ونأخذ عنهم أسوأ ما فيهم .. الثورات والانقلابات والمصادمات وتأجيج الصراع واشعال الخلافات فى كل شىء .

وبين أيدينا كنز من القيم لا ندرك قيمته ، وفى تراثنا المفتاح الذهبى الذى يفتح جميع الأبواب بل روح التقدم ذاتها .. ونحن أشقى الكل بجهلنا به .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

مطلوب انتفاضة

في الزمن الردىء الذى نعيش فيه والوطن العربى يعانى من التخلف والدول العربية تبدو كجزر متباعدة كل واحدة تغرق فى مشاكلها والشباب غارق فى الجدل حول النظريات والمذاهب والفلسفات .. وجماعات هنا وجماعات هناك لا يربطها رابط .. وتيارات .. وتيارات مضادة .. ولا حركة .. والمحصلة صفر .. تلزم وقفة .. وتلزم صرخة تنبه الكل ..

إن السفينة تغرق . . والوقت ليس وقت جدل . . وانما وقت عمل . . وقت انقاذ واسعاف .

انقاذ لبنان قبل أن يمزقها التقسيم الى كانتونات وتفتتها الطائفية الى هباء .

انقاذ الأرض فى فلسطين قبل أن تختلف الفرق والمنظمات فى كيف ومن يحكمها ؟ ! .

انقاذ الاقتصاد المدين الذى استنزفته القروض بالعمل والانتاج . فلا حرية لبلد لا يملك رغيفه ، ولا استقلال له وهو عاجز عن اطعام نفسه ولا قوة يدعيها وسلاحه مستعار من عدوه .

والفهم السقيم للدين على أنه خلافات وفتن وفرق ومذاهب يجب أن ينتهى .

الدين علم وعمل ومكارم أخلاق وقيم ، وهو بهذا المعنى يساهم فى انقاذ السفينة ويجمع همة أصحابها ولا يفرقهم . . وهذه هى روح الدين ورسالته وجوهره . . والأديان بهذا المعنى كلها واحد . . كلها محبة ورحمة وأخوة ومودة وعمل صالح . . الاسلام يقول ادفع بالتى هى أحسن السيئة . . والمسيحية تقول أحبوا أعداءكم . . فلا يمكن أن يؤدى هذا الفهم الى ما يجرى فى الساحة اللبنانية من قتال بين الاثنين .

والدين لا يحض على خطف الرهائن ولا يفجر الطائرات ولا يسوق العربات الملغومة ولا يقتل الأبرياء . . ولا يفعل ذلك الا القتلة الذين لا دين لهم .

ان الدين الذى يصدر الى شبابنا من كافة جبهات التطرف ليس دينا ولكنه نوع من الدنيا . . انه وسيلة البعض الى الزعامة والسلطة . . انه نسخ أخرى من الخومينية التى فشلت فى بلادها . . والهستيريا الجموعية التى تدخل فى باب الأمراض العصبية .

وهو تجارة جديدة رابحة للتكسب وجلب الشهرةوالزعامة

لأصحابها والدمار والبوار لنا .. وهو يقدم لشبابنا ليفرقه لا ليجمعه .. وليثير فيه الغل والضغينة وليس المودة والرحمة .. وهو لا يمت الى اسلامنا بصلة وان استخدم رموزه وشعاراته .

إن الذى يغرق البلاد العربية فى انقسامات الشيعة والسنة والدروز والكتائب والموارنة واليمين واليسار والرأسمالية والشيوعية والملكية والجمهورية .. هو انحطاط عقلى وتخلف حضارى ونظم عميلة وفكر مراهق وزعامات أنانية .. آن الأوان للخلاص منها جميعا دفعة واحدة .. وذلك بيقظة وانتفاضة وعى ..

مطلوب انتفاضة شباب فى الوطن العربى كله .. انتفاضة عمل وليس انتفاضة تقذف بالحجارة .

انتفاضة ترفض الخلافات والانقسامات .. وترفض العنف .. وترفض التسلط .. وترفض البدائية .. وترفض الغوغائية .. وترفض هذا التفتت الى عشرات المذاهب والنحل .

مطلوب ضغط شعبى ورأى عام يعلن احتقاره لهذه الأشياء جميعها ويدمغها ويدمغ أصحابها بالعمالة والخيانة .

فهذه الأشياء لا تختلف عن المخدرات فى تدميرها للروح البناءة .

ويجب ألا تقل حربنا عليها عن حربنا على المخدرات وعصاباتها .

ان قدرنا كجيل أن نحارب كل هذا الكم من الحشرات والقوارض البشرية التى ستأكل أعصابنا وأرزاقنا وعقولنا ومستقبلنا باسم الاشتراكية أحيانا وباسم الدين أحيانا وباسم الوطنية أحيانا أخرى .

ولا بد من ظهور زعامات وقيادات شبابية جديدة فى كل شارع وفى كل حى وفى كل مدرسة وفى كل جامعة تحمل لواء هذه

الانتفاضة الجديدة وتعمل على فضح ومقاومة وتسخيف الانقسامات والعصبيات .

السفينة تغرق .. ولا يوجد خلاف على ما يجب عمله .

على كل منا أن يشمر عن ساعديه ويعمل بكل همته .. الزارع فى حقله ، والعامل فى مصنعه ، والطبيب فى مستشفاه ، والطالب فى مدرسته ، والأم فى بيتها .

علينا أن ننتج شيئا .. ونصنع شيئا .. ونبتكر شيئا .. كما ابتكرت وصنعت وأنتجت أمم غيرنا أصغر منا .. مثل كوريا الجنوبية وتايوان واليابان .. كلها بدأت من الصفر وبعضها من تحت الصفر ووصلت الى القمة فى أقل من أربعين سنة .. ثم زاحمت العملاق الأمريكى فى بلاده .

ان الانسان بيديه وعقله هو المعجزة .

انتهت خرافة المذاهب المضللة .

انتهت الماركسية واللينينية والستالينية والتيتوية والناصرية الى الفشل والهزيمة فى داخل بلادها .

تبخرت الى لا شىء .

أثبت الانسان العادى البسيط الذى يعمل بهمة واخلاص وتفان فى مصنعه فى اليابان وفى كوريا وتايوان ويكافح فى أسوأ ظروف الاحتلال ونقص الموارد ونقص الخامات وتحكم السوق وضعف الاقتصاد .. أثبت أنه يستطيع أن يصنع معجزة ..

ياشباب الوطن العربى .. انتفضوا ..

هبوا من رقاد المائة سنة .

انفضوا عنكم تراب المذاهب المضللة والأفكار الفارغة .. واخرجوا من كهوف التخلف .. اخلعوا ثياب الاتكالية والاعتمادية .. انزعوا العدسات اللاصقة التى وضعها على عيونكم

الغزو الفكرى . . وليسترد كل واحد منكم هويته وتاريخه ومكانته .

تعرفوا على أنفسكم التى ضاعت فى زحام الحوادث . . وضجيج الاعلام الموجه . . وفاترينة البضائع الاستهلاكية . . وضغط الرأى العام الفاسد . .

قوموا قيامة رجل واحد .

فالزمن يجرى بكم الى الهاوية . . ولن يعود .

وقطار الحضارة مندفع بأقصى سرعته . . وإذا لم تجدوا مكانا فى المقدمة . . فلن تجدوا أمكنة الا فى عربة البضاعة أو عربة الحيوانات ، والتذكرة لهذا القطار هى العلم والعمل والكد والكدح والمثابرة .

ولا وصول إلى أى محطة فى المستقبل بدونها ، ولن تغنى عنها أى ثرثرة مذهبية أو نظريات فارغة .

حادث غزو الكويت .. وما بعده

كنت فى لندن حينما وقعت الواقعة وحدث العدوان الغادر على الكويت . ودخل صدام حسين بعسكره إلى حمى الجارة المسالمة ليغزو وينهب

وقامت القيامة فى الصحافة العالمية وقنوات الإذاعة والتليفزيون ، وكنت أكتب المقال فى الصباح لأمزقه فى المساء ، فقد كانت الأحداث تتصاعد ، وكل خبر جديد ما يلبث أن يصبح قديما لا يقرأ .

وكان لقدوم أمريكا بخيلها ورجلها وطائراتها وصواريخها أصداء فورية فى كل مكان من العالم .

والبترول هو الطاقة ، وسعره ارتفاعا وانخفاضا تتوقف عليه عجلة الصناعة والزراعة والإنتاج ومراكز البحث وأدوات النقل .. وهو وقود الطائرات والدبابات والمدرعات والبوارج والغواصات .. وهو وقود التنمية وروح المدنية الغربية بكافة صورها وأشكالها .. وهو سلعة استراتيجية خطرة تنفرد بها دول شرق أوسطية يحارب بعضها بعضا .

لقد فعلها صدام حسين وأعطى أمريكا الفرصة والحجة الشرعية .

ولم تجد الكويت بدا من طلب النجدة من أمريكا .. وهى معذورة .

ولم تجد السعودية بدا ـ أمام عجز عربى واجتماعات قمة فاشلة وعقيمة ـ من أن تحذو الكويت .

وأمام حشود عراقية على الحدود لم يكن أمام صاحب القرار أى حل آخر .

وهكذا استحق صدام حسين أن يقام له تمثال فى تل أبيب !!

وفرحت إسرائيل ـ وحق لها أن تفرح ـ وهى ترى ترسانة السلاح العربى الذى كانت تخشاه يستعملها العرب فى قتل بعضهم بعضا ، وسعدت وهى ترى أباها الروحى أمريكا يصل على جناح الفانتوم والتورنادو إلى مواطن الثروة العربية .

وهدد صدام بالأسلحة الكيمائية فلوح له الغرب بالقنبلة النووية .

خير .. كله خير لإسرائيل .. ونكبات متوالية على رءوسنا .

ووجد الملك حسين نفسه محشورا بين جيش إسرائيل وجيش العراق ، وبين غضب فلسطينى عارم فى الشارع الأردنى .. فلم يجد بدا من التعاطف مع الجار السفاح .

وهكذا اكتملت الصورة المأساوية .. وتحولت الساحة العربية إلى مسرح اغريقى يساق فيه الأبطال إلى حتفهم فى حتمية قدرية لا فكاك منها .

وأصبحنا والناس يكلمون أنفسهم .. ويتساءلون فى حيرة وهم يرون أنفسهم يدخلون فى متاهة لا يعرفون آخرها .

مائتا ألف عسكرى أمريكى .. وأمريكا تعلن عن عزمها على التعبئة العامة ودعوة الاحتياطى .

أين نسير ؟

وما الحل ؟!

هل يعود صدام إلى عقله .. أم هى الحرب ؟!

هل ما تقوم به أمريكا تهويش .. أم جد ؟!!

وما أكثر ما بدأت حروب كبرى على شكل تهويش ثم انقلبت حروبا جدية مدمرة .

ولن تمر لعبة الحرب الكيماوية على أنها مزاح .

وصدام حسين .. أمام تصاعد الترسانة العسكرية على حدوده يسحب جيشه من على حدود إيران ويتنازل عن مطالبه فى شط العرب ويعيد إليها كل ما احتل من أراضيها فى محاولة لتأمين نفسه من الغدر الإيرانى (هل كانت حرب الثمانى سنوات عبثا فى عبث) !!.. ويحتجز صدام سبعة آلاف انجليزى وأمريكى من العاملين فى الكويت والعراق .. رهائن .. تحسبا لأى ضربة مفاجئة .. وهو يتلفت حوله كذئب حبيس محاصر فى قفص من جميع الجهات ، فهو لا يستطيع أن يبيع بتروله لأحد ، ولا يستطيع أن يستورد شيئا .. وجميع فوهات المدافع مسددة إلى صدره .

وأمريكا تتجاوز قرارات الأمم المتحدة وتمد حصارها لتمنع الخبز والدواء والغذاء من دخول العراق من أى منفذ على البر أو البحر .. فى الوقت الذى تستورد فيه العراق ٨٠٪ من احتياجاتها من خارج العراق .. وهى لا تجد الآن إلا منفذا وحيدا ضيقا عبر الأردن وميناء العقبة .

والملك حسين مستسلم لقدره ولا يستطيع أن يقول لا .

وأمريكا تهدد بضرب الحصار على العقبة .

وما فى العراق من مخزون غذائى لن يكفى لأكثر من أربعة أشهر .

وصدام يعلنها حربا إسلامية مقدسة فى محاولة لتحويل دفة الحوادث ، ولكنه تحول إسلامى كاذب ومريب من اشتراكى قديم وعلمانى وعدو لدود لجميع الحركات الإسلامية إلى مهدى منتظر هكذا فجأة وبدون مقدمات . ؟ !!

ولا أحد يصدق .. إلا بضعة ألوف فى الشارع الأردنى .

ولكن الحرب إذا حدثت .. وإذا جرجرت وراءها العرب فى طريق الدمار الطويل ، فسوف تتحول الموازين وسوف تتبدل المواقف .

وقد يتحول الأصدقاء إلى أعداء ، والحلفاء إلى خصماء .

فهل يطول الحصار ؟

وهل تستطيع أمريكا أن تدخل حربا برية طويلة وتعيد مأساة فيتنام ؟

وهل تستطيع أن تضرب بغداد من الجو وفيها خمسة آلاف بريطانى وأمريكى رهائن ؟

انه مأزق صعب على الطرفين .

ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بما يحمله الغد من مفاجآت .

وإسرائيل .. هل ستظل فى مقاعد المتفرجين .. ؟ !!

وإذا حدث أن اشتركت بأى صورة واستطاع صدام أن يجر رجلها .. ألا تنقلب المائدة على أمريكا وينفض حلفاؤها العرب فى حتمية قومية لا مهرب منها .

ان جميع الخيارات مزعجة ورهيبة .

وجميع الاحتمالات مكلفة ومبهظة .

والغد يجثم ككابوس أو سحابة سوداء أثقلها حملها .. ولا يعلم أحد أتحمل بشرى .. أم نذيرا .

وأمريكا تصعد حرب الأعصاب والحصار بسرعة لتقصم ظهر الذئب الجائم فى بغداد ولتصل إلى هدفها بدون حرب .

انها تحاول بهذه المظاهرة العسكرية الكبرى أن تتجنب الحرب وتختصر الزمن وتفرض شروطها دون إراقة قطرة دم .

ونحن نؤيدها ، فمصالحنا جميعا فى تجنب الحرب . . والوقاية من هذه المصائب أفضل من علاجها . . وتوفير الطاقة العسكرية العربية أفضل من تبديدها فى حرب عقيم بين الأشقاء .

وعلى الجانب الآخر ، فإن الحرب المقدسة التى يدعو لها صدام لن تكون مقدسة بالمرة .

والزج بالإسلام فى حرب مع الغرب خطأ لا يصح التورط فيه . . فالإسلام ليس عدوا للغرب ولا للشرق . . وهو لم ينتشر بالسيف ، بل بالقدوة الحسنة والموعظة الطيبة . . وهو قد هادن أعداءه وحالف خصماءه وعقد المواثيق مع المشركين واليهود ليتجنب حروبا لا جدوى منها .

وهو لم يقاتل إلا الذين قاتلوه ونكثوا عهوده .

والإسلام يبدأ الكل بالسلام ، ويفضل الحوار ويختار سبيل الحكمة . . ولا يقاتل إلا مكرها . . ولا يقدم على حرب إلا بعد إعداد . . فأين نحن من هذا ؟!!

ونحن ـ إلى الآن ـ نأخذ من الغرب السلاح والقمح والغذاء والعلم والطب والكيمياء والطبيعة والفلك والفضاء والتكنولوجيا والصناعة والزراعة والهندسة الوراثية والكومبيوتر .

ونحن ما زلنا نتعلم فى جامعاتهم .

ولم ينته دور التلمذة عندنا بعد . . بل ان جامعاتنا نفسها ما زالت تأخذ عنهم .

ونحن أقل إسلاما مما ندعى بكثير . . فالإسلام دين العلم والعمل ومكارم الأخلاق . . وهو دين العقل والحكمة ودين الحوار بالحسنى . . ودين التعامل بالمعروف .

وأين نحن من كل هذا . . إن الله لن يهدى بنا أحدا ونحن غير مهتدين .

وهو لن يصنع لنا تاريخا على هوانا .. ونحن ما زلنا نعيش فى عصر الأحقاد والتارات والأمجاد الشخصية .. والأهواء الجامحة .

ان استدعاء الإسلام إلى المعركة له شروطه .. وشروطه لا تتوافر فى تلك الشرذمة الباغية التى بيدها الراية الآن .

والبترول هو شأن عام وليس شأنا عربيا ، وان صادف وجود أكثره فى بلاد عربية .. ثم ان الحفر على هذا البترول كان بعلوم أمريكية ، كما أن استخراجه من باطن الأرض كان بعلوم أمريكية ، وكذلك كانت المصافى بتكنولوجيا أمريكية ، ومصانع البتروكيماثيات بهندسة أمريكية .. وأخيرا وفى لحظة عجز عربى كامل تقوم بالحماية والدفاع جيوش أمريكية !! فماذا بقى للعربى ليناقش الوجود الأمريكى من عدمه (هكذا يفكر الأمريكى بأسلوبه) .

وطبيعى جدا أن تخطط أمريكا مستقبلا لكى تعود السيادة على تلك الآبار إلى يدها .. فهذا من وجهة نظرها أفضل من أن تظل فى أيد عربية يقاتل بعضها بعضا فى حروب قبلية ربما انتهت إلى نسف تلك الآبار وحرمان الكل منها .

وإذا كان هناك لوم فهو يقع على العرب جميعهم بلا استثناء .. فلا جامع لهم ولا وحدة ولا اتحاد .. وهم ليسوا على إسلام وليسوا على علم .. وهم ما زالوا طوائف وفرقا متنابذة .. والمتحضرون فيهم أفراد ، والمتعلمون أفراد ، والعقلاء أفراد .. والمسلمون أفراد .

ورغم ثراء هذه الأمة فى مجموعها ، فإن جيوشها ليست على مستوى ثرواتها ، وسلاحها ليس على مستوى تعدادها .. والأموال التى كان يجب أن تنفق على الدفاع وإعداد الجيوش .. أنفقت على بناء القصور والترف وموائد القمار فى مونت كارلو ولاس فيجاس ، وعلى تكديس المليارات من الأرصدة العاطلة فى البنوك .

وإذا كان الله قد سخر للعرب اليوم من يحميهم من أنفسهم . . فإنها لن تكون حماية بلا ثمن .

والخطر الأكبر على المنطقة الآن سوف يأتيها من حاميها نفسه . . سوف يأتيها من الاستقطاب الذى حدث فى القوى الكبرى التى تحكم العالم . فبعد أن كان العالم الثالث يعيش تحت مظلة آمنة من صراع القوتين الأعظم . . روسيا وأمريكا . . ومحاولة كل منهما أن تكسبه إلى صفها . . رأينا العملاق الشيوعى يسقط بالضربة القاضية . . ورأينا أمريكا تصبح لأول مرة قوة منفردة . . وتتحول إلى الشرطى الوحيد صاحب العصا الغليظة التى ترهب الكل .

وهو أمر جديد تماما . . فمنذ أن خلق الله الأرض وهو لم يترك أمرها ولا مصيرها فى يد منفردة . . حتى فى أمم النبات والحيوان ومخلوقات البكتيريا والطحالب والفطر والكائنات الدنيئة .

لقد كانت سنة الله التى لا تتبدل هى أن يجعل ناموس الخلق يدور على التوازن بين قوى متضادة . . والتقدم يحدث بأسلوب جدلى بالصراع المتنامى بين تلك القوى . . دون أن يجعل قوة واحدة تنفرد بالجميع .

لقد وضع فى وقت ما الحلفاء من مواجهة ألمانيا . . ثم وضع الصين فى مواجهة روسيا . . ثم وضع روسيا فى مواجهة أمريكا . . فى توازنات دقيقة محسوبة . . تماما كما فعل فى أمم الحيوان ، فوضع القطط أمام الفئران ، والضفادع أمام الحشرات ، والحباحب أمام البعوض ، والتماسيح أمام الأسماك . . فى توازن محسوب يسمح بالصراع ولكن لا يسمح فإفناء أى طرف للآخر .

وهكذا ظلت الغزلان والحملان الضعيفة والفراشات الواهنة تعيش إلى جوار الذئاب والأسود والنمور والضباع والعناكب والعقارب والنسور والصقور رغم ثلاثة آلاف مليون سنة من الصراع الدامى فى حرب البقاء .

فكيف حفظها الله طوال تلك الآلاف من ملايين السنين وهى بلا مخلب وبلا نياب .

انها تلك المظلة المحكمة من التوازنات الدقيقة بين كافة القوى المتصارعة . . فقد جعل الله لكل قوى جبار أقوى منه يأكله .

واليوم نرى بداية عصر جديد تنفرد فيه أمريكا بالسيطرة على مصائر كوكب الأرض بدون منازع . . ونراها تدفع بالحوادث على مرادها ، تحرك مجلس الأمن وتسوق هيئة الأمم المتحدة . . وتقوم بتأديب كل من يخرج على الخط . . فتقوم بحملة تأديبية على ليبيا . . ثم حملة تأديبية أخرى على بنما . . ثم تريندااد . . إلخ . . إلخ .

ولا مانع من أن ينفرد بالحكم فى قضايا الأرض حاكم واحد بشرط أن يكون محايدا .

ولن تكون أمريكا قوة محايدة أبدا . . وموقفها من قضيتنا الكبرى . . وإسرائيل . . معلوم . . ومساندتها للظلم الإسرائيلى بالدعم والتأييد والفيتو . . كلام قديم ومعاد . . وإمدادها للترسانة الإسرائيلية بالأسلحة النووية والكيماوية وبأحدث معدات الحرب الحديثة . . حقيقة مشهورة ومعلنة .

هو إذن استقطاب خطير . . وانفراد بمقدراتنا له عواقبه .

ولا أعرف كيف سيعمل ناموس التوازن الإلهى فى الأجيال القادمة وفى الصراع القادم بين الشمال الغنى والمسلح والجنوب الفقير والأعزل . . ولا أعلم بأى وسائل ستعمل مشيئته .

وأعتقد أن الأيام القادمة تحمل مفاجآت .

وأن خريطة القوى سوف تتغير . . ربما بصعود ألمانيا واليابان . . وربما كتلة الدول الأسيوية .

لا أدرى كيف ستعود الثنائية الجدلية إلى عملها . . وكيف سيحمى الله ضعفاء خلقه ، ولكن سنن الكون تسير باضطراد ثابت . . والله لن يغير قوانينه خوفا من البنتاجون .

والخطر الثانى هو الخطر الجاثم الآن بالفعل فى الخليج .. هو هذا التجمع العسكرى الهائل من جميع الأمم بحجة ضرب صدام ..

عشرات البوارج وحاملات الطائرات والأواكس والشبح والميراج والفانتوم والتورنادو وقاذفات الصواريخ والقنابل التليفزيونية والقنابل العنقودية ودبابات الليزر ، وفرق الصاعقة الأمريكية والمظلات ومئات الآلاف المحشودة فى البر والبحر والجو ، وجيوش أوروبا وأمريكا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبلچيكا وهولندا وفنلندا وأسبانيا والسويد والنرويج واستراليا وكندا والأرچنتين واليابان .. والتكنولوچيا التى تستعرض أحدث ما فى ترسانتها .. والعلم الذى يختال ويتبختر بجبروته .

كل هذا من أجل صدام .. ذلك الفأر المذعور المختفى تحت الأرض .. !! ؟

انه بتعبيرهم نفسه .. رجل مقضى عليه .. وهالك . (HE IS DOOMED)

.. وتكفيه رصاصة واحدة من كتيبة قتل متسللة من القتلة المحترفين (CIA) التى قتلت وتقتل العشرات أمثاله .

أهو صدام وجيشه الضعيف الذى حارب ثمانى سنوات جيش إيران المهلهل ولم يحرز نصرا .. ؟ !!

أم أن المنطقة أصبحت هى وبترولها محمية أمريكية ، ومن وراء أمريكا كل دول أوروبا وانجلترا باعتبارها صاحبة مصلحة وصاحبة كلمة فى سلعة النفط الاستراتيچية وفى سعرها ومصيرها .. وماذا سوف يبقى فى المستقبل لأصحاب الشأن ؟!

ان ما يحدث أمامنا أصبح شيئا غريبا .. وأصبح تهويلا مبالغا فيه .

وصدام هو الشيطان الوحيد فى الأرض .. وهو الذى فعل كل هذا .. ؟ !!

ألو فعلها صدام في دولة مثل ملاوي أو زنزبار . . أكان العالم يهب منتفضا على قدميه كما فعل . . أكانت أمريكا ترسل موتوسيكلا واحدا . . ولا أقول طائرة أو بارجة . . ؟ !!

ليس صدام إذن ولا فعلته وحدها هي التي أهاجت كل هؤلاء القوم وجلبتهم من كافة أرجاء المعمورة بعسكرهم ودباباتهم وطائراتهم . . بل مصالحهم . . وما كان صدام سوى الفرصة والمناسبة التي انتهزوها لتحقيق حلم قديم ليضعوا أيديهم على منابع الثروة والطاقة .

وما نرى الآن سوى هذا الحلم أو هذا الكابوس .

وإذا كان صدام - شيطانا وهو بالفعل شيطان أثيم ووغد زنيم - فأين كان الذين يسبونه اليوم على المسبحة في جميع الصحف . . أين كانوا حينما كان يرسل المصريين في نعوش ، وحينما كان يقتل الأكراد بغاز الخردل . . وأين اختفت صور تلك المذابح فلم تظهر إلا الآن .

وأمريكا التي تقيم العالم وتقعده على صدام وجرائمه . . أين كانت حينما استعملته لضرب الثورة الإسلامية في إيران وهي التي أعانته وساندته وآزرته وصنعت له ترسانته التي كان يحارب بها . . ومن قبل ذلك زرعت نورييجا في بناما وماركوس في الفلبين واستعملت تشاوتشيسكو في رومانيا وساندت طغيان الشاه في إيران وغرست بن جوريون في فلسطين .

وما أكثر ما تفعل الدول الكبرى من وراء الكواليس مما يدخل في بند المافيا وقطاع الطرق .

أهم الآن فجأة رسل الإنقاذ السماوي وحماة الفضيلة وملائكة الرحمة الذي جاءوا لنجدة العرب من شر العرب ؟!! . . أم لأنها هذه المرة حربا للعرب ضد العرب ، فيا أهلا بها ومرحبا ولتشتعل أكثر وأكثر ولتكن أكثر ضراما وأشد لهيبا وليشارك فيها الشامي

والحلبى والمغربى والمسلم والنصرانى والدنيا كلها .

وساحة الحرب هذه المرة هى مستودعات نفط العالم .. وانفجار آبار بترول العراق والكويت والظهران والدمام معناه القضاء على أكثر من ٧ ملايين برميل يوميا من مدد العالم من الطاقة .

وعدد العاملين بالعراق من مختلف الجنسيات أكثر من اثنين مليون ونصف مليون عامل من بنجلاديش والفلبين وسريلانكا وباكستان والهند والحبشة والسودان ومصر وانجلترا وأمريكا وفرنسا وألمانيا وروسيا .. ولمصر وحدها فى العراق تسعمائة ألف من أصل مليون عامل .. والمجموع أكبر من شعب الكويت وهم مثلهم أبرياء لا ذنب لهم فيما حدث وفيما سوف يحدث من تجويع وقتل وتشويه وحرق وعاهات إذا حدثت الحرب .

وتقدير الخبراء العسكريين الأجانب لعدد القتلى من الجيش المهاجم لا يقل عن ثلاثين ألف قتيل فى المرحلة الأولى من الهجوم .

وإذا كانت خسارة الكويت ـ وهى بمثابة اليد اليمنى للأمة العربية ـ قد أوجعتنا وآلمتنا ، فإن الذين ينصحون بالتعجيل بالحرب لعلاج تلك الخسارة فى الواقع ينصحوننا ببتر باقى الأطراف .

ان الحرب ليست نزهة .. ولا رحلة ترفيهية .

وأسلحة الدمار الشامل جعلت من الحروب أهوالا .

والذى يدخل حروب اليوم لا يستطيع الخروج منها سالما مهما حالفه النصر .. وفن السياسة هو فن تجنب الحرب .. وهو فن الحصول على مطالبك بدون إراقة قطرة دم .

وجميع حكام الدول العربية يعلمون ما الحرب ويعرفون عواقبها .. وهم يحاولون تجنبها جهد الاستطاعة .

وصدام حسين سوف ينسحب من الكويت بدون حرب .

والمسألة مسألة وقت .. ودبلوماسية ذكية .. وحصار محكم سوف يؤتى ثماره .

والا فلتقولوا لى . . إذا كان صدام حسين دخل الكويت ليقيم فيها فلماذا ينهبها ولماذا يخربها ولماذا ينقل خزائنها إلى بغداد ؟!

لقد دخل صدام حسين الكويت وهو يعلم أنه خارج منها . . ولهذا أخذ معه ما خف حمله وغلا ثمنه . . هذه هى الحقيقة مهما خالفتها التصريحات . . ومهما بدا من ظاهر الأقوال غير ذلك .

والذين يدقون طبول الحرب أقلام غير مسئولة ومقاولو هدم .

وللهدم مقاولون كما أن للبناء مقاولون .

وفى الأمة العربية مقاولو هدم يريدون أن تكون كل البلاد العربية لبنان .

ان الحرب إذا وقعت ستكون جحيما يطلق من عقاله . . وسوف تلقى أطنان القنابل العنقودية والحارقة . . والناسفة . . وعلى من . . ؟؟ !!

على تسعمائة ألف مصرى يعملون فى العراق فى المصانع الحربية . . وعلى مثلهم من الأبرياء من كل الجنسيات . . وعلى شعب عراقى لا حيلة له أمام كرباج طاغية يملك كل وسائل القهر ولا يملك أحد أمامه كلمة .

ان آلة الحرب الجهنمية التي تحشدها أمريكا على حدود العراق إذا تحركت لن تحصد سوى أهلنا وناسنا : . أما صدام وعصابته فسيكونون فى حصون تحت الأرض .

ونحن مع دبلوماسية السلام ومع جهود حسنى مبارك المضنية لتجنب الحرب ومع كفاحه المستميت للظلم . . ونعلم أنه إذا حدثت الحرب فستكون هى الظلم الأكبر والظلم الشامل .

وصدام حسين ليس سفاحا واحدا . . بل قبيلة . .

وهناك ألف صدام . . يلبسون سترات أنيقة ، ويتكلمون بمنطق ، ويتحاورون بفلسفة ، ويقولون مثلنا . . لا إله إلا الله محمد رسول الله . . وهم لا يبيتون إلا حقدا .

ان الحرب لن ترفع ظلما ، بل سوف تجعل الظلم ظلمات ،

وسوف توزع جرعة العلقم على الكل وسوف تغير خريطة المنطقة لصالح الأقوياء أصحاب ترسانات السلاح الأكبر .

والمستقبل فى ظل الحرب مبهم .

وهو بعد الحرب لن يكون فى صالح الضعفاء أبدا

والضعفاء الذين يتصورون أن الحرب تشعل بن أجلهم هم البسطاء .

وكل دولة ستدخل الحرب ستدخلها لمصلحة . ولا دخل للإسلام فى الموضوع . . والذين يستدعون الإسلام إلى المعركة يحاولون أن يستروا به أطماعهم أو أحقادهم .

وآخر صاروخ سياسى أطلقته طهران كان بيان على خامينى بأنه مع صدام فى رفضه لبقاء القوات الأمريكية فى المنطقة ، وأن إعلان الحرب على تلك القوات هى حرب إسلامية مقدسة . . وأن إيران ستزود العراق بالغذاء والأدوية .

وهكذا أصبحت العراق وإيران واليمن والسودان والمنظمات الفلسطينية وتونس وليبيا والجزائر وموريتانيا والأردن صفا إسلاميا فى مواجهة صف إسلامى آخر من السعودية ومصر والكويت وسوريا والإمارات العربية وسلطنة عمان والمغرب وباكستان والسنغال !!

فتنة كبرى لم يحدث مثلها فى التاريخ . . ومذبحة شاملة لن تعود بعدها الخريطة العربية إلى سالف عهدها أبدا .

ان المسرح يعد ويمهد لجريمة تاريخية . . ليست قتل صدام والخلاص منه ، فالرجل قد انتهى . . وإنما استئصال شأفة الوحدة العربية والقومية العربية من الجذور فلا يجتمع العرب بعدها على شيء ولا تعود لهم عصبة . . ولا يبقى منهم إلا أسماء متفرقة يضرب بعضها بعضا . . مثل المصرى والسورى والسعودى واليمنى والقطرى والكويتى والليبى والمغربى والتونسى ، ولا تدرى لأى عدد من الدول ستقسم العراق وبأى أسماء ستتسمى دويلاتها .

ولن تكون الحرب إذا قامت واستخدمت فيها الترسانة الأمريكية

والسلاح العربى وصواريخ وطائرات كافة الدول المشتركة . لن تكون إلا خرابا عاما وتحطيما لاقتصاديات وصناعات ومجتمعات الدول العربية . . وبشرى لإسرائيل بأن ترث هذا الخراب وتثبت أقدامها على إطلاله إلى قيام الساعة .

ولن تعود الكويت بعد نسف بترولها إلا ضاحية صحراوية لا وزن لها .

وسوف تؤدى الحرب وما يعقبها من فقر وخراب ودمار إلى تبعية سياسية واستعمار اقتصادى لا يعلم مداه إلا الله . . والطامعون فى البترول كثيرون ليس فقط من داخل المنطقة بل من خارجها .

سوف تسألوننى . . وما الحل إذا طال الانتظار ولم يرجع صدام عن غيه وينسحب ؟!

أقول نعطى الحصار الاقتصادى فرصة أطول وهو نفس ما قرره الخمسة الكبار فى مجلس الأمن .

ان العراق تخسر أكثر من أربعة مليارات من الدولارات شهريا من حبس البترول فى مخازنه وفى أقل من سنة سوف تتفاقم المعاناة وينفجر الموقف من الداخل ويضع صدام أمام خيار السقوط أو التسليم .

فإذا لم يأت الحصار بثمرته فإن الحل لا يمكن أن يكون ضرب العراق بل ضربه هو شخصيا . . وهى مهمة سوف يتطوع لها الألوف تلقائيا من داخل شعبه . . ولن تكون مهمة صعبة بالوسائل التكنولوجية التى تملكها أمريكا ، وبالمؤهلات التى اشتهرت بها مخابراتها .

أما الحرب فهى تشريف لصدام لا يستحقه . . ومناسبة يحلم بها ليكتب التاريخ عن دول العالم التى اجتمعت كلها على رجل . . وهذا الرجل كان صدام حسين .

أما عن القوات الأجنبية . . والكلام الكثير عن مصيرها . . وقلق البعض من أنهم لن يعودوا إلى بلادهم بعد حل المشكلة . فانى

لست من القائلين بانهم لن يعودون . . بل أقول سوف يعودوا ولكن بعد أن يربطونا بقواعد عسكرية ومعاهدات ومواثيق لزوم الأمن . . مواثيق نفقد بعدها سيطرتنا على سعر بترولنا . . وعلى ما نضخ منه وما لا نضخ . . وتسعة دولارات حدا أقصى لسعر البرميل . . وفقرا نتخبط فيه إلى ما شاء الله . . بينما منتجاتهم تتدفق علينا بأسعار أغلى من الذهب والماس . . ولهم كل الحق فقد اشتروا غباءنا وباعونا ذكاءهم .

وللذين ينفخون فى نفير الحرب ويتعجلون الجحيم . . أذكرهم ان القنابل الأمريكية لن تنزل على رأس صدام فهو فى مخبأ ـ كما قلت ـ تحت الأرض إنما ستنزل على رأس مليون مواطن مصرى من أهلكم واخوتكم يعملون فى بغداد والبصرة والنجف لتبتر أيديهم وأرجلهم بلا ذنب .

وإذا كان صدام قد أجرم فكل منا يحمل نصيبه من الوزر . . وعلى أمريكا وأخواتها من دول أوروبا يقع وزر مماثل . . هو التخطيط المستمر للسيطرة على المنطقة . . كل الفارق أنهم كانوا دائما أذكى ، وانهم كانوا يعرفون كيف يغلفون أعمالهم بغلاف من الشرعية وكيف يسوقون المبررات والمعاذير . . وكيف يصنعون لكل شىء منطقا . . ليس فيهم أجلاف مثل صدام . . بل كلهم أذكياء يعرفون كيف يكون غسل الأيدى ، وكيف يكون محو البصمات بعد كل عمل ؟ . وكيف يكون شراء العملاء ؟ . وكيف يكون شراء الدول ؟ . وكيف تصنع الصفقات الكبرى من وراء الكواليس عبر كؤوس الشمبانيا وعبر الابتسامات الدبلوماسية ؟! .

وحينما افتضح أمر تشاوتشيسكو بعد مقتله وعرف أنه كان عميلا للمخابرات الأمريكية ، وأنه كان يأخذ مرتبا شهريا ملايين الدولارات مقابل ما يبوح به من أسرار حلف وارسو . . انعقدت ألسنتنا من الدهشة ولم نصدق .

ولكن هكذا يكون اللعب (على كبير) عند أصحابنا .

ليس فيهم فجاجة صدام ولا جلافته . . ولكنهم بمهارة شديدة يصلون إلى ما يريدون بذكاء وقانونية وشرعية .

ويبدو أن القصة لم تنته فصولا بل بدأت .

وهى رغم خسائرها لا تخلو من مكاسب . . فقد اكتشفت أمريكا أنها يمكن أن تستغنى عن إسرائيل وتستبدلها بالعلاقة المباشرة مع العرب وتجد عندهم حفاظا أكثر على مصالحها . . وهى ورقة يمكن أن نستفيد منها فى المستقبل .

والمكسب الثانى أن إسرائيل لن تستطيع بعد ما جرى من الثورة التى اجتاحت العالم على التهام الكويت . . لن تستطيع أن تلتهم شبرا واحدا من أرض عربية دون أن تجعل وجه أمريكا أسود من الطين أمام العالم كله . . ولن تجد منطقا تبرر به ما تفعل . . وهى فائدة أخرى .

والمكسب الثالث كان للجزائر ونيجيريا . . فلقد ارتفع سعر البترول من ١٦ إلى ٤٢ دولارا للبرميل وكانا على شفا هاوية من الأزمة الاقتصادية فاستطاعا أن يصلحا ميزان مدفوعاتهما ـ وهو حال يسرى على كل الدول المنتجة للبترول على عكس الدول المستهلكة مثل اليابان وألمانيا .

والمكسب الرابع كان لشركات تصنيع السلاح فى أمريكا وكانت قد أوشكت أن تغلق أبوابها وتسرح عمالها فجاءها الفرج مع عقود جديدة بالمليارات من السعودية وغدا تأتيها العقود الجديدة من الكويت بعد تحريرها . . وبعد تدمير العراق ونسف مصانعها لا أحد سوف يبنيها من جديد إلا نفس الشركات . . ونهر الدولارات مستمر فى اتجاه واحد .

وليس أمام الضعفاء إلا الخضوع لشروط الأقوياء ولأسعارهم . . حتى سلعة العرب الوحيدة . . البترول . . سيقوم الأقوياء بفرض أسعارها .

ولهذه الأسباب يريدون الحرب .. من أجل لعبة البترول .

ثم يعودون فيترددون ويتراجعون لنفس الأسباب .. خوفا من ضياع البترول .

ويكتفون بالحصار الاقتصادى .. ليس من باب الشفقة .. وإنما من باب إعادة الحسابات .

أما المكسب الخامس فكان ظهور حجم مصر ودورها القيادى ووجهها العربى وتضحياتها الفورية فى لحظة حاسمة انفرط فيها عقد الجامعة العربية إلى عصبيات وعداوات وبدت أصواتها خليطا إلا صوتا جليا واضحا وقاطعا وحاسما هو صوت مصر .

هذا عن المكاسب وهى قليلة .

أما عن الخسائر فهى فادحة وجسيمة .. مادية ومعنوية .. سياسية وأدبية وثقافية .. ولا أقل من نكبة شاملة تتقاسمها دول المنطقة .. منها من فقد وجوده ، ومنها من فقد مستقبله ، ومنها من فقد ثروته .. ومصر وحدها فقدت ٦ مليارات من الدولارات وتضاعفت أعباؤها بسبب خمسمائة ألف عائد من العمالة التى كانت تضيف إلى رصيدها فأصبحت تخصم منه .

أما على اتساع العالم .. فالتضخم والغلاء وهبوط أسعار الأسهم وتوقف التنمية وإفلاس الشركات الكبرى .

ويعود السائل فيسأل :

وإذا لم يجد الانتظار ولم يثمر الحصار .. وظل صدام على عناده .. فماذا يكون العمل ؟!

وأجيب فى ثقة .

ان صدام مقضى عليه .. وهو هالك حتما .

وهم يعلمون ذلك .

وهم يترددون ويحجمون عن الحرب .. مع أن فاتورة الحرب هذه المرة سيدفعها العربُ .. لأنهم يفضلون أن ينتهى صدام مجانا .. بدون تكلفة .. وبدون دم .. فلماذا نكون أقل ذكاء

منهم .

وللقائل الذى يقول :

انها مجرد ضربة محدودة . . فلم التردد ؟

أقول له . . ومنَ أدراك أنها ستكون ضربة محدودة . . ولماذا نتعجل الخراب . . ان الرجل أرخص من أن يقتل فى سبيله برىء واحد .

لقد قدم البنك الأمريكى المركزى تقريرا يقول فيه أن الحرب إذا حدثت سوف ترفع سعر برميل البترول إلى ٦٥ دولارا وسوف يظل السعر مرتفعا بهذا القدر لمدة سنة أو أكثر .

وإذا نسفت الآبار فسوف تحتاج إلى سنتين لإعادتها إلى العمل وبتكلفة مليارات . . انهم يعيدون حساباتهم .

فلماذا لا نعيد حساباتنا نحن أيضا ؟!

انها ليست لعبة كارت . . ولكنها دم مسفوح وصناعات ستدمر ومجتمعات ستخرب وشباب سيلقى به إلى المستشفيات ليخرج مشوها ، وعمالة سيلقى بها إلى أرصفة البطالة ، وحكومات ستعاد جدولتها ، وخرائط سيعاد تخطيطها .

وكل هذا داخل فى الصفقة . . فلماذا لا نفكر بالورقة والقلم كما يفكرون ؟!

ويعود السائل فيسأل :

وإذا بدأ صدام بالهجوم . . وقد قالها أخيرا أكثر من مرة .: أنه لو اشتد به الحصار وشعر بالاختناق فإنه سوف ينسف الآبار ويحرق الديار .

قلت بلا تردد : انها تكون الحرب ولا مفر .

قال صاحبنا :

وماذا تظن سيحدث . . وبماذا تتنبأ ؟

قلت فى تفكير :

بعد ما جمعت أمريكا حشدها وخيلها ورجلها واصطفت هى

وبطون من كل أمم الشرق والغرب وجلبت أحدث ما فى ترسانتها من وسائل التدمير . . لا أظنها تعود دون أن تدك كل صرح للقوة رفعه صدام فى العراق . . ولو لم يبدأها صدام بالعدوان فسوف تدفعه لأن يبدأ .

وهكذا كل حروب التاريخ . . بدأت هتافات وتهديدات وأيدى تلوح . . ثم وقع المحظور .

وهكذا نحن أهل السلام دائما نظن كل القادة يفكرون مثلنا . . وكل صدام يخيل إلينا أن له من نفسه كما لنا رادع . . ولكنها تمنيات ياصاحبى . . مجرد تمنيات . .

والحرب واردة لا محالة . . وهى اعلان أمريكى مدفوع الأجر سوف تعلن به أمريكا عن قوتها وعضلاتها ولا أحسبها تتنازل عنه . . انما تؤخره لأجل معلوم لتقدمه هدية الكريسماس للناخب الأمريكى .

ان أمريكا تريد أن تعطى درسا لكل من يخالفها ولكل من يجرؤ فى المستقبل على التمرد عليها .

وسوف أمسك عن الكلام عن الكونجرس الأمريكى واحجامه عن اعفائنا من ديوننا العسكرية . . وأقول هم أجانب . . ولكن الأخوة العرب . . السعودية والكويت ولهما بفضل الله فوائض فى البنوك الأجنبية ٥٠٤ مليارات دولار . . وما قيمة ديون أقل من أربعين مليار دولار لمصر التى تخاطر معهم بوزنها وسلاحها ورجالها وهى مثقلة بديونها ومشاكلها ولا تقدم لهم فواتير كما يقدم بوش . . وتنشر الهيرالد تريبيون أولا بأول فواتير بوش المقدمة للسعودية . . ونحن أقرب رحما . . ولا حياء فى الحق . . ومصر التى تلقت بصدرها رصاص أربعة حروب وتخوض الخامسة لها على العرب حق أكبر من حقوق بوش الأجنبى صاحب المصالح .

ان الحرب إذا وقعت سوف تخلف جرحا غائرا يضرب بعمق فى الجسم العربى .

وسوف تترك عداوات تتناسل جيلا بعد جيل .. وسوف ندفع نحن ثمن تلك العداوات بالقسط على ما تبقى من زمن فى عمر التاريخ .

وسوف يرى العائدون حينما يعودوا الى أماكنهم .. أنها لم تعد أماكنهم التى عرفوها .. وأن كل شىء قد تغير .

وإذا كان هناك رأى يقال فى هذه الساحة التى امتلأت بدواوين الشعر والحماسيات .. فانى أقول أن صدام ودوره الخبيث وجريمته التاريخية حقيقة لا خلاف عليها وأقول أكثر من هذا أن قتل الرجل والخلاص منه أصبح مطلبا عالميا ومصلحة عربية وحلا أمثل ..

أما تدمير العراق كلها من أجل الخلاص من صدام فهو عمل متهم فى أهدافه ومراميه خاصة إذا تم بأيدى أمريكية وسوف يؤدى الى عكس المراد منه .

وعلاج تدمير الكويت بتدمير العراق سوف يوسع الجرح وسوف يحيل المنطقة الى ساحة انتقام والى مسلسل للدم لن يسلم منه كبير ولا صغير .. ولن تجتمع الأمة بعد ذلك الا على ضغينة .. وأرجو إذا حدثت الحرب أن تكون فى أضيق الحدود .. فى حدود قتل الرجل والخلاص منه .

وعن المستقبل أقول ..

ان الحرب واردة .. ولكن مازال احتمال تراجع صدام وانسحابه هو الاحتمال الأكبر والأفضل .. وإذا كان احتمال انسحابه هو ٥٥ ٪ واحتمال اغتياله ٣٠ ٪ واحتمال الانقلاب عليه ٩ ٪ .. فان احتمال الحرب هو ٥ ٪ واحتمال مفاجأة غير متوقعة ١ ٪ .. هذا تصورى والله أعلم .

ولا أدرى ماذا تكون تلك المفاجأة ..

ولكن ربنا كبيـــر ..

ومستقبل البترول

خمس عشرة شركة كبرى فى أمريكا توقفت عن العمل لأن ارتفاع سعر برميل البترول إلى فوق الأربعين دولارا رفع سعر منتجاتها الى درجة أدت إلى هرب الزبون إلي الأسواق الأرخص .. وكلها شركات تعمل في بند واحد ، هو بند البيوتكنولوچى الذى يقومُ بتصنيع البروتينات والهرمونات والفيتامينات والمضادات الحيوية من مصادر بترولية وبيولوچية .

الآن سعر فول الصويا وسعر الحبوب أصبح أرخص . . فلماذا يذهب الزبون إلى البروتينات المخلقة . . وأمامه بروتينات طبيعية أرخص .

وما حدث فى صناعات هذا البند الواحد حدث فى صناعات عشرات البنود الأخرى ، إن لم يكن كلها التى تعتمد جميعها على منتجات البترول كأصول كيميائية أو كوقود أو كمصادر للكهرباء . . مثل الصناعات الحربية والصناعات الزراعية وصناعة السيارات وصناعة الكيماويات .

وهذا تفسير لما حدث من تدهور الأسهم وهبوط مؤشر داون جونز ، وما يقال من إفلاس شركات وتوقف صناعات . . وما يقال عن تراجع برامج التنمية فى دول أوروبا وأمريكا فى السنة القادمة ، وربما لسنوات إذا لم يعالج الموقف فى الخليج .

والخطر الحقيقى ليس في الحرب واحتمالاتها ولا اسرائيل ونزواتها . . فهذه أمور بيد القيادة الأمريكية وبيد حلفائها . . ولن ينطلق صاروخ دون أن تضغط يد على زناد . .

واسرائيل بعد ما رأت من تكشيرة أمريكا واستنكار الأمم المتحدة سوف تنكمش كالفأر الجبان وتعود لجحرها .

انما الخطر يأتى من وادى آخر . . هو مختبرات البحث العلمى وميزانيات التنقيب عن الطاقة البديلة التى اندفعت الآن بكل ثقلها وكل ملياراتها لتحفر أرض الحقيقة بأسنانها بحثا عن بديل يكلف أقل من أربعين دولاراً للبرميل . .

والبدائل الحالية . . الطاقة الشمسية . . والمفاعلات الذرية . . تكلف أكثر وتعطى أقل . . وأخطار انفجار المفاعلات ومشاكل النفايات المشعة وصعوبة التخلص منها لا تشجع على المضى فى نفس الطريق .

والبديل محل النظر الآن هو الايدروچين المستخرج من مياه البحر (ومياه البحر لا نهاية لها وليس أرخص منها وما ايفقد منها يستعوض بالأمطار) . . انها رزق من السماء لاينفد . . وهى تركة مباحة للكل . . يستفيد منها كل واحد على قدر شطارته . .

وقد أمكن صناعة سيارات تسير بالهيدروچين . . وقرى كاملة فى

أمريكا وقودها الوحيد هو الأيدروچين .. ولكن ما زالت صناعة اليهدروچين كوقود أغلى وأكثر تكلفة وأكثر تعقيدا من البترول .. وراية السبق مازالت فى يد النفط حتى آخر لحظة رغم ارتفاع سعره .

ولكن المستقبل حافل بالمفاجآت .

وإذا صدقت حكاية الأطباق الطائرة .. وكانت تأتينا زائرة من مجرات بعيدة .. فالمعنى المؤكد انها تسير بمعادلة جديدة للطاقة لا نعرفها ، وبمصادر وقود غير البترول وغير الأيدروچين وغير كل ما نعلم ..

وكنوز العلم عند الله .. وعنده وحده مفاتحها ..

وماذا لو فتح الله لعلماء الغرب بابا من هذه الأبواب المغلقة ... ؟؟!!

وقد سبق أن فتح لم باب البخار والكهرباء والذرة والليزر والالكترون .

وهو يعطيهم دائما منذ ألف سنة الاختراع تلو الاختراع ، ليس لأنهم أحب إليه ، وانما لأنهم أنشط وأكثر عملا وأكثر اخلاصا فى البحث ، وأكثر عكوفا على أسرار الطبيعة ، وأكثر شغفا بفك طلاسمها .. وهم لهذا أكثر تعرضا بحكم الاستعداد لهذا النوع من الالهام ..

والعلوم والمعارف لا تتنزل إلا على المحل المستعد لها .

وكما يقول العارفون .. إذا نزل مؤمن وكافر إلى البحر فلا ينجو إلا من تعلم السباحة .. فالله لايحابى الجهلاء .. فالمسلم الجاهل سيغرق ، والكافر المتعلم سينجو .. وهذا هو ناموس العدل .

وكما يقولون .. ان شمس الله أصبحت تشرق الآن من الغرب .. حدث هذا التحول منذمئات السنين حينما كف المسلمون عن الاجتهاد وأخلدوا إلى الكسل والترف والبلادة

واللذائذ الحسية ولم يعودوا يُعْمِلون عقولهم فى شىء . . فكان طبيعيا أن يحدث هذا الانقلاب فى النواميس . . وان يطلع الله شمس الهاماته من الجهة الأخرى . . من الغرب . . لتتنزل على ناس آخرين ملهوفين مشغوفين ساهرين منتظرين تلقف أسراره فى نهم وشوق .

ان هذا التنزل وارد إذن . .

وأن يعطيهم الله مفتاحا جديدا من مفاتيح الطاقة ليس أمراً مستبعدا .

وحينئذ سوف نفاجأ فى يوم وليلة بأسعار النفط فى الحضيض . . وبأزمة الخليج تنتهى بلا حرب وبلا ضرب . . وبالجيوش الأجنبية تعود مهرولة من حيث جاءت . . وبأمريكا تترك صدام حسين يأكل بعضة أو يأكل من يشاء من دول العرب أو العجم . . فهم قد جاءوا لمصلحة . . وقد انتهت المصلحة . . ولم تعد هناك أى مصلحة . . فوداعا أرض المشاكل . . وقد اكتشفنا للبترول بديلا يغنينا عن شغب المشاغبين .

ليست هذه قصة من الخيال العلمى . . بل هى احتمال قائم وقريب . . وعلماء الغرب وأساطين الكيمياء والطبيعة فى أوروبا وأمريكا يحفرون أرض الحقائق بأظافرهم ويهرولون فى سباق مجنون ويسهرون فى المعامل والمختبرات .

وهناك ميزانيات هائلة ترصد ، وأنهار من الذهب السيال تجرى بين أيدى الباحثين من كل جنس ولون . . والكل يجرى نحو هدف واحد . . هو معادلة جديدة للطاقة . . ونبع كيمائى جديد . . ومادة سحرية جديدة تخلصهم من الصداع العربى ومن تشنجات الشرق الأوسط .

والرأى العام الأمريكى ضد الحرب .

والرأى العام الأوروبى ضد الحرب .

والرأى العام الانجليزى ضد الحرب .

وكذلك الرأى العام الروسى والصينى والكندى والاسترالى .
أنهم كلهم يقولون .. إذا أسعفنا العقل فلم نتعب العضلات وهذا هو الإنسان .
وهذا هو الفرق بين الإنسان وبين حيوان مثل صدام وحيوانات أخرى كثيرة على شاكلته لا تفكر إلا فى مخالبها .
إن الانسانية كلها فى مفترق طرق ..
ولاشك أن فى طى الغيب مفاجأة سوف تغير التاريخ
فهل تحدث .. وهل تحدث المعجزة
وماذا يكون مصيرنا إذا حدثت .
وماذا يكون مصيرنا إذا أصبحنا ذات يوم فإذا ببترولنا بسعر التراب وإذا بسلعتنا الوحيدة بضاعة بائرة وتجارة خاسرة ..
هل عملنا حسابا لذلك اليوم ..
وهل طورنا صناعاتنا لتواجه هذا الزلزال .
إن صدام حسين مجرد مناسبة يذكرنا بها الله بقضائه وقدره وبما يمكن أن يفعل بنا ، وما يمكن أن يفعل لنا أو علينا كيفما اقتضت مشيئته .
والله سبحانه لا يسأل عما يفعل .
وهو ليس موظفا عندنا ولا عند صدام ولا عند أحد .
ويداه ليستا مغلولتين كما قال اليهود ، وانما هما طليقتان مطلقتان يفعل بهما ما يشاء ويرزق بهما من يشاء متى شاء ، ويعطى بهما من كنوز علمه من يشاء متى شاء .
فلنجتهد كما يجتهدون ولنسهر كما يسهرون ولنكدح أذهاننا كما يكدحون .. لنكون أهلا لعطائه ومحلا لكرمه ومنزلا لإحسانه ..
فإن الله لايحب الكسالى ولا يرزق الغافلين ولا يذكر المترفين فى قرآنه إلا بالسوء .
والعلم ميراث مشترك وتركة مباحة ، وهو فى الكتبات وفى الجامعات .. وأسرار الطبيعة تحت عين كل ناظر ، وتحت سمع

كل مستمع ، وأمام عقل كل متأمل .

ونحن لنا أبصار كما لهم أبصار ، ولنا أسماع ، كما لهم أسماع ولنا عقول كما لهم عقول .. والله استعمرنا فى الأرض كما استعمرهم .. ولا عذر لنا نبرر به تخلفنا .

وانما هذه الأزمات مناسبات للصحوة .. وانذارات بأن هناك منعطفا تاريخيا وأن كل شىء يوشك ان يتغير ، وأن هناك من يؤذن .. حى على العمل ..

وإذا لم تكن هناك أزمة فى الخليج ، وإذا لم يكن هناك صدام .. فإنه كان هناك رعب آخر فى الطريق .. فالنفط فى الآبار كان فى طريقه إلى النضوب .. ولم يكن باقيا على ساعة الصفر إلا ثلاثون أو أربعون سنة .

ومع شح البترول كانت الأسعار سترتفع بأكثر مما ارتفعت ، وبرميل الزيت كان سيصبح أغلى من برميل الشمبانيا والعالم كان سائرا إلى عنق زجاجة .. بصدام أو بدون صدام .. بأزمةالخليج أو بدونها .

ان المشكلة موجودة .

ولكن الجرس دق مبكرا ليوقظ النائم وينبه الغافل ويحرك البليد .. فضلا من الله ونعمة .. فهل نصحو هذه المرة على كتبنا ومعاملنا ومختبراتنا . لا على الكلاشنكوف والمدفع والدبابة ؟!

ان أكرم ما فى الإنسان عقله وليس عضلاته .. وبعقله طور الحياة وغير البيئة .

وفى تاريخنا كان هناك المؤرخ والفيلسوف وعالم الطبيعيات والكيميائى والطبيب .

وفى مصر الفرعونية كان الصعيدى أرسطوطوناس ابن اسيوط أول من حسب محيط الكرة الأرضية ، وكان امنحوتب أعظم أطباء الأرض ، وكان اخناتون أول موحديها ..

وفى تاريخنا الإسلامى كان هناك ابن خلدون وابن سينا وابن

الهيثم وابن النفيس وابن عربى وجابر بن حيان والادريسى والرازى والزهراوى وداود الانطاكى وغيرهم وغيرهم .

ثم غربت عنا الشمس وكثرت بيننا الحثالة ، وقلت الصفوة وخفت صوتها ، وتسلم طغاة بلا عدد مقاليد السلطة فى مسلسل دموى لايريد أن ينتهى .

ولا صلاح لنا إلا بالعودة إلى الديمقراطية والحرية فى الفكر والاقتصاد والسياسة والقول والعمل .

ولحاملى رايات الاسلام هو الحل .. أقول لهم الإسلام بمفهومه الذى أنزله الله .. حرية وشورى وعلم وعمل ومكارم أخلاق وتقوى وسلام ومحبة ومرحمة .. وليس بمفهومكم .. مدافع رشاشة ورأى مستبد وآفق ضيق وتعصب مقيت وغل دموى .

وأقول لهم أن راية .. الإسلام هو الحل .. لم يرفعها للأسف إلا كثرة من الدجالين .. رفعها الخومينى وصدام والريان وحزب الله والتكفير والهجرة والناجون من النار وكتائب الجهاد (ولا جهاد عندهم إلا قتلنا واستباحة دمائنا لأننا نقول برأى مختلف) .

وأقول لهم أن الله لن ينصر رايتهم أبدا .. وأنه سوف يطلع الشمس من الغرب ليعطى على نورها كفرة أكثر منهم رحمة وأرحب منهم صدرا .. وسوف يلهم خصومهم علما وفكرا وأدبا وحكمة .. يحجبها عنهم .. لأنهم حجبوا أنفسهم بكفر أشد وأعتى .. هوالظلم والقسوة وعبادة النفس .. ولأنهم شوهوا دينه وزيفوا ملته .

وأن الإسلام ليس كلاما بل عملا ، وليس شعارات بل تضحيات .

وأقول لهم أن التاريخ سوف يعرضهم واحدا واحدا على مفرزة النوايا والأعمال ، وليس على مضبطة الهتافات والأقوال ..

وأقول لهم أن القصة بدأت ، وأن أزمة الخليج مفتتح وليست خاتمة ، وأن الفتن ستتوالى كقطع الليل المظلم أخطارا ومهالك يأخذ بعضها بخناق بعض كأنها مسبحة من الآلام والمحن .. ولن

يعفى منها أحد لا أنتم ولا نحن .

ان الإسلام أمل فخذوه بأسبابه وشرائعه أو لا تأخذوه ودعوه لمن هو أحق منكم برفع رايته ، فالله لن يعبد فى الأرض بالجهل والجاهلية بل بالعلم والإنسانية .

وبين خطر قريب متوقع هو اكتشاف بدائل للنفط ، وخطر آخر بعيد منتظر هو نفاد المخزون من النفط نفسه ، ليس أمامنا كدول عربية إلا أن نخرج من مرحلة الاقتصاد الواحد إلى مرحلة الاقتصاد المتعدد الذى يعتمد على الانتاج المتعدد لأكثر من سلعة وعلى الصناعة المتطورة والزراعة المتطورة والدخول فى عصر الهندسة الوراثية والمواد المخلقة والعلوم المتكاملة ذات العطاء الكبير .

وفى عصر الكيانات الكبرى والتجمعات السياسية لا حياة لنا إلا بأن نخرج من انقساماتنا وتفرقنا ومن نظم الحكم الفردى المتسلط والميليشيات والدويلات لنتعامل مع العالم كجهة عربية واحدة ذات مصالح واحدة وسياسة واحدة . . ونخرج من الشعارات والهتافات والحماسيات الجاهلية الى لغة ديمقراطية وحوار متحضر .

ولا نزج بالاسلام فى حروب لا جدوى منها مع الغرب وعداوات لا مبرر لها ولا أصل . . فالإسلام عبر التاريخ كان عباءة حرة فضفاضة تضم فى داخلها كل الأديان وكل الجنسيات ولم يعرف الإسلام عنصرية ولا عصبية ولا اكراه على عقيدة ولا اضطهاد لمذهب . . ولم يقاتل إلا الذين قاتلوه . . ولم يحارب إلا الذين أخرجوه من دياره . . وكان قوله للذين اختلفوا معه من أهل الأديان الأخرى . . لكم دينكم ولى دين . . وكانت نصيحة القرآن للإبن المؤمن الذى يضطهده أبوه المشرك ألا يرد على غلظته بغلظة مثلها بل يعاشره بمعروف . .

وقد خلقنا الله مختلفين ولا نزال مختلفين إلى قيام الساعة ، وتلك مشيئته ليمتحن فضائلنا ويصقل جواهرنا . . وأفضل دعوة

يدعو بها المسلم لدينه هى أن يكون هو نفسه نموذجا ومثالا وقدوة ، لا أن يرفع سيفه على الآخرين . . ذلك ديننا وتراثنا .

وتقدمنا مرهون بهذا الوعى وهذا التحولات .

وخروج صدام من الكويت لن يكفى لحل مشكلتنا ، والمطلوب خروجنا جميعا من الجهل والتخلف العقلى والغوغائية والبدائية الفكرية والمراهقة السياسية التى نعيش فيها .

نحن فى حاجة إلى صحوة حضارية وعصر تنوير وطلائع فكر ورواد نهضة إذا قدر لنا أن نكون أبناء عصرنا . . وإلا . . فالخيار الآخر هو رجعة إلى وراء . . إلى عصور مظلمة وفتن وحروب تأكل الأخضر واليابس . . نرتد فيها لنصبح مثل قرود الغابة فى زمان ينطلق أهله إلى القمر والكواكب ويسافرون بين النجوم . .

صادف أن كنت منذ أيام استمع إلى الأخبار وأدير مؤشر الراديو بين المحطات فسمعت أن ميشيل عون استسلم فى لبنان واحتمى بالسفارة الفرنسية ، وأن الخارجية الفرنسية تفاوض لأخذه إلى باريس تلبية لطلبه . . وقال المعلق مفسرا سبب استسلامه . . أن مدد السلاح لم يعد يأتيه من العراق بعد أن ضرب عليها الحصار فلم يجد الرجل حلا سوى الاستسلام . .

قلت فى نفسى عجيب أمر صدام هذا . . لقد استعملته أمريكا لضرب الثورة الإسلامية فى إيران ، واستعملته فرنسا لضرب التيارات الإسلامية فى لبنان . . ألهذه الدرجة يخشى الغرب أى صحوة اسلامية فى أى مكان من العالم فيتسابق للتآمر عليها . . ؟؟!!

أنهم ولا شك يذكرون ما حدث فى الماضى من سقوط أكبر دولتين فى التاريخ القديم . . الروم والفرس تحت أقدام جحافل المسلمين ويخشون أن تتكرر المأساه . .

وهو تفكير مريض . . فالإسلام لم يعد فى حاجة إلى غزو . . وما فعلته جيوش الماضى كان لتوصيل كتاب . . لتوصيل كلمة

الله . . فى عصر لا يوجد فيه راديو ولا تليفزيون ولا فاكس ولا مطابع ولا أدوات تسجيل ولا تليفونات ولا وسائل برقية ولا وسائل انتقال سريع .

وقد اختلف كل شىء الآن . .

القرآن وصل إلى أقاصى الأرض وترجم إلى جميع اللغات ، وكلمة الله تتلى فى قلب روسيا وفى قلب أمريكا وفى قلب لندن وباريس وروما ودلهى وبكين وسيدنى وجميع عواصم الدول والقارات الخمس .

والقرآن دخل التاريخ واستقر فى المكتبات العالمية ، والاسلاميات أصبحت ركنا ركينا وعلما مستقلا فى كل جامعات الدنيا ، والناس يدخلون الإسلام بالمئات كل يوم طواعية واختيارا . . ولا حاجة بنا إلى حرب لنشر الإسلام بالإكراه .

والله جل جلاله لن يسمح بأن يرفع فى الأرض سيف لإدخال آدمى واحد الى ديانته كرها . . وهو القائل لنبيه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

﴿ أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين ﴾ (٩٩ يونس)

﴿ ا أنت عليهم بجبار ﴾ (٤٥ ق)

﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ (٤٨ الشورى)

﴿ إن أنت إلا نذير ﴾ ٢٣ فاطر)

﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسبطر ﴾ (٢١ - ٢٢ الغاشية)

والغرب معذور فحركات الصحوة الإسلامية أكثرها عدوانى ، وأكثرها يبدأ برفض الغرب وإعلان الحرب عليه . . وهو أسلوب مريض وخاطىء للدعوة .

وعلينا أن نزيل هذه الفكرة . . ونحارب هذا الاتجاه إلى العدوانية . . ونرفض هذا النحو البدائى لنشر الدين بالعنف .

إن هذا الذى يحدث جاهلية وليس اسلاما .

الذين يصنعونه أهل غل وليسوا أهل تقوى ، ولهذا يخذلهم الله المرة بعد المرة . . لأنه لا يقبل أن يأتيه انسان كرها ، وأن يؤمن به أحد راغما ، وهو القائل أنه غنى عن العالمين .

والعالم بلغ سن الرشد وأصبح المدخل الوحيد لأى انسان هو عقله واقتناعه . . ولن يعود التاريخ القهقرى . . تلك كانت مرحلة وانتهت بانتهاء ظروفها . . وكانت لها فى زمانها مبرراتها وأسبابها . .

أما الآن فقد أصبحنا جميعا من كل الملل والنحل والألوان والأجناس ركابا فى قارب واحد ، وما يحدث فى القطب الشمالى يرتد أثره على جميع القارات بسكانها فى لحظات . . ولو اشتعلت الحرب بأسلحتها الحالية المدمرة سوف يغرق القارب بمن فيه وما فيه . . ولم يبق للحرب مبرر إلا أن تكون ردا لعدوان أو قصما لظهر طاغية .

ولم تعد لنا وسيلة مشروعة للشجار سوى الحوار والتفاهم ، والتفاوض والاقتناع والاقناع .

ومن يفكر فى اشعال الحرب سوف يتكاثر الكل عليه ويحاصرونه كما يحاصر الجراح الورم السرطانى بمبضعة . .

وكما تفعل جيوش الشرق والغرب الآن بصدام .

إن بطاقة الدخول الى منتدى العصر . . هى العقل والتفاهم .

ومن لا يملك هذه البطاقة سوف يطرد من المنتدى العالمى ويلقى به فى أول مزبلة .

ولن يسمح عاقل بافناء البشرية من أجل متخلف ينادى بحرب عالمية من أجل أى هدف .

فى ضوء هذه الحقيقة علينا أن نراجع سياساتنا وسلوكياتنا وأساليبنا فى الدعوة ومناهجنا فى التربية .

والعارفون من أهل الله يقولون . . لكل وقت أدب . . وهذا هو أدب الوقت .

روشتة للمستقبل

الأرقام تقول ان شركة واحدة هى چنرال موتورز استطاعت ان تحقق فى عام ١٩٨٩ إنتاجا بلغ فى مجموعه عشرة أضعاف الإنتاج المصرى .. كيف صنعوها .. انها ليست معجزة .. انها مسألة إدارة لا مسألة شطارة .. فما تقوم به الحكومة المصرية من أنشطة وإنشاءات ومشاريع فى كافة المجالات من زراعة وصناعة وإسكان ومرافق واستصلاح اراضى لا شك أكبر وأخطر مما تصنع شركة واحدة مثل چنرال موتورز ولكن ما يحدث للأسف ان الناتج المصرى يفقد فى عدة بالوعات .. بالوعة اسمها مجانية التعليم (وفى الواقع لا مجانية هناك ولا تعليم) وبالوعة أخرى اسمها القطاع العام الخاسر.. وأخرى اسمها الدعم .. والرشوة والتسيب والإهمال والفساد .. والخمسين فى المائة عمال وفلاحين (وهى نسبة مشئومة ومسئولة عن سوء التوجيه وسوء التخطيط) وجميعها باختصار هى بقايا هيكل الاشتراكية الشمولية وبقايا المستنقع ومخاضة الوحل التى غرقنا فيها منذ الستينيات .. والتى لابد أن نخرج منها ونتحرر من اسارها إذا اردنا ان ننطلق وان يكون لنشاطنا ثمرة .

والبالوعة الثالثة هى الانفكار السكانى .

والبالوعة الرابعة هى المخدرات والإدمان والشباب الضائع

المهدر . . وهذه البالوعة الأخيرة لا علاج لها إلا بإعلان الحرب الداخلية على المروجين والمهربين وتجار السموم وتنفيذ أحكام الإعدام فور صدورها (صدر ٣٢ حكم إعدام إلى الآن لم ينفذ منها إلا واحد بسبب بطء الإجراءات ومتاهة الطعن والطعن فى الطعن والاستئناف . . إلخ) ولابد من تطوير القانون ومعاملة هذا النوع من الإجرام بمحاكم عسكرية .

وبدون تلك الإجراءات لن تتحرر الإرادة المصرية . . وسنظل أسرى قيود وأطر عتيقة معطلة ونظم شمولية معوقة . . وستظل جهودنا مجرد حراثة فى البحر .

وأعود فأقول . . ان المشكلة مشكلة إدارة .

كيف ندير مواردنا ونستثمرها استثمارا حكيما دون فاقد ودون عادم يبتلع كل الإنتاج .

والبند الأخير فى الروشتة أن نتجنب الحروب الخارجية بجميع صورها وأشكالها ونتجنب المغامرات العسكرية مهما دعت إليها الضرورات الظاهرة . . وأن نعالج العدوان بالسياسة والحوار واستعداء المجتمع الدولى وتحريك مجلس الأمن وإثارة الرأى العام العالمى وكسب صوت شباب العالم معنا . . ونلعب بأوراق السلام ولا نلعب بأوراق الحرب أبدا .

وأضمن أسلوب لتجنب الحرب هو بناء القوة العربية الذاتية والقوة المصرية الخاصة لتردع أى خصم يفكر فى عدوان . . ولتجعل ثمن الحرب باهظا بالنسبة لأى طرف يخاطر بها . . ولتجعل الحرب وان قامت محدودة الخسائر .

أما لماذا نستميت فى تجنب الحرب . . فالسبب واضح . . فان أى حرب فى هذا العصر التكنولوچى معناها خسارة مليار دولار يوميا بالإضافة إلى خسارة أكبر هى خسارة الاستقرار . . ثم مخاطرة أكبر

من الاثنين هى احتمال إضاعة المستقبل .. ثم انفجار برميل البارود فى منطقة الشرق الأوسط كلها بما يؤدى إلى مالا يعلم أحد إلا الله .

وأعود فأقول للمرة الثالثة ان المشكلة فى مصر هى مشكلة إدارة .. والحل الوحيد هو إصلاح الإدارة .. ليس بالانقلاب وليس بتغيير نظام الحكم وليس بمقاومة السلطة الشرعية .. وإنما بالترشيد وحسن الفهم وحسن التوجيه .

أقول هذا للإسلاميين وأقوله للعلمانيين وأقوله للناصريين وأقوله لشراذم وبقايا الثوريين القدامى من كل لون .

ان العضلات الجديدة فى عصرنا الآن هى العقل والحكمة والعلم والاعتدال والرشد والحوار .. هذه هى العضلات التى تغير حال الأمم إلى الأحسن والأقوم .. وليس الدبابات والبكباشية الذين يحتلون الإذاعة ويعلنون شعارات الإصلاح الكاذبة مع الفجر .

وانظروا إلى حال الدول الافريقية المتخلفة التى لا تكف فيها الثورات .. ودول أمريكا اللاتينية التى لا تكف فيها الانقلابات وكلها تشحذ وتتسول المعونات .. واعتبروا .

محتويات الكتاب

رقم الايداع : ٩٧/٣٦١١
الترقيم الدولى : 5 - 0600 - 08 - 977

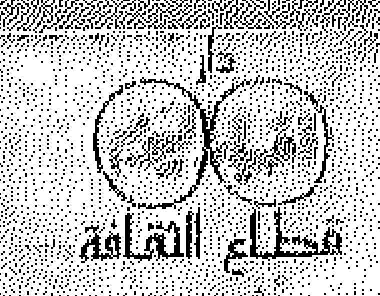
تقاطعت الطرق ، وتوقف مرور عربات الأفكار ، وانهدم عالم ، وولد جنين عالم جديد ، وأصبح المستقبل علامات استفهام .. إلى إين نسير ؟.. وماذا يحمل لنا الغد من مفاجآت .

حتى البوصلة التى كنا نهتدى بها تحطمت .. والنظريات انتهت بانتهاء عالمها القديم .

إلى اين ؟

هذا موضوع كتابنا .

د . مصطفى محمود



طبعت بمطابع الاخبار